

الشيخ شمس الدين



عُطِيل

تأليف
خليل مطران

إشراف
نظير عبود

دار
نظير عبود





General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Public Library of Alexandria

عطيل



ولیم شکسپیر

عُطَیل

تعدیب



اشراف

لا سکندریه
822.33
شماره 7
دار

نظریه بود

نظریه بود

Department of the Asiatic Library (37AL)
خطوط طرآن

حَقَّقَهُ د. التَّحْمِيَّةُ يَحْفَظُ
لِدَارِ نَظَائِرِ عَرَبِيَّةٍ

طَبْعَةٌ ١٩٩١ م

صَبَّ : ٨٦-٨ / ١١ تَلْفُون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

كتب للمؤلف

ديوان الخليل
مرآة الأيام
إلى الشباب
من ينابيع الحكمة والأمثال

معرب عن شكسبير :

تاجر البندقية
عطيل
مكبث
هملت

عن كورنابي : بوليوكت
السيد
سنّا

عن فيكتور هيغو : هرناي

مقدمة

رغب إليّ جورج أفندي أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه ، في ترجمة هذه القصة ، فترددتُ زمناً ، ثم أتيح لي أن رأيته يمثل تجربة من « أديب » فأعجبني إتقانه وإتقان بعض أعرافه واستخرتُ الله في نقل عطيل إلى لغتنا الشريفة .

فلأذكر أولاً ما دعاني إلى إختيار اسم عطيل رداً على بعض المعارضين .

كان عطيل في زعم القصص الذي نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية ، بدوياً مغربياً جلاً إلى الهندية وخدم في جيشها حتى أصبح قائده الأكبر ، وعقيدته في الملقات (١) . والمغاربة يومئذ خليط من العرب والبربر المستعربة . فأما أن يكون قد دعي منذ مولده باسم إفرنجي فقير محتمل ، وأما أن يكون قد

(١) الملة : النازلة الشديدة من فوازل الدنيا .

دعي باسم عربي حرفته العجمة ، فهو الأصح عقلاً . فإذا رددنا أوتلثو إلى لسانه الأصلي ، فالذي يستخرج من حروفه أحد اثنين : عطاء الله أو عطيل . فأما عطاء الله فلم أتوصل إلى تحقيق أن مغربياً واحداً سمي به . ولهذا ضربتُ عنه صفحاً ، وأما عطيل فقد اعتقدت أنه الأخلق بالاختيار لسببين : أحدهما أنه أشبه بما جرت به عادة العرب على تسمية الزوج به من ألفاظ التحجب أمثال مسعود و مسرور وزيتون ومرجان للذكور ، وخيزران و ضياء للجواري . ومعلوم أن عطيلاً تصغير تحبب لصفة عطيل بمعنى عاطل أو خلو من الحلية ، فتسمية أحد الزوج به إنما هي محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب . وثانيهما لأن « عطيل » بضم و رفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب إلى أوتلو من كل اسم سواء .

بقي في هذا الصدد أن أقول مروراً للذين تمنوا لو أبقيت اسم أوتلو كما أورده المؤلف ، إنني لم أوافقهم على هذا لأنني كرهت أن أثبت في العربية اسماً من أسمائها على الرطانة ^(١) التي حرفته إليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك الصورة ، في حين أنه لا يتعذر إكسابه مثلها وهو مردود إلى أصله التقديري أو التحقيق من غير أن نسوم مسامعنا جراحة تحريفه . ذلك أوحى إليّ اليقين أنه خير وأولى .

بعد هذا التفسير الذي تقاضتني إياه بعض الصحف ، ونفر

(١) الرطانة : التكلم بالأعجمية - كلام غير مفهوم - .

من الأصدقاء ، أرجع إلى الرواية ، ولي فيها مبحثان موجزان ،
من جهة الأصل ، ومن جهة التعريب .

* * *

أما من جهة الأصل فأقول إن واضح هذه القصة إنما هو
نابغة الأدهار في فنه وأعني به شكسبير . وضعها لإظهار الغيرة
وتأثيرها في الرجل بأقوى وأصدق ما دل عليه الاختبار من
أمرها ، ولذلك اختار عاشقاً إفريقيًا بدوي الفطرة ، ليكون
وثاب الشعور عنيفه ، عسكري المهنة ، ليكون سريع التصديق
والانخداع ، مكتئلاً أي في أول الانحدار من سن الأربعين ،
ليكون أشد في التعشق كما هي شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم
الحب بعد انقضاء الشباب ، وليكون أيضاً في الحالة التي يتهم
فيها الإنسان نفسه بفقْدان أكثر الحلال التي يقضيها الغرام ولا
سيما حينما يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس^(١) الحروب ،
والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسد الأخلاق مترفين .

ذلك هو الغرض الأساسي العام الذي رمى إليه شكسبير
فأصاب به دقائق الحقائق إصابة كانت في جملة ما حمل أكبر
المفكرين وأعظم الكتبة على الشهادة له بأنه أخبر خير بخفايا
القلوب ، وأمر كشف لحباياها .

ثم إنه أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين : أحدهما إثبات

(١) المجلس : الذي لونه بين السواد والحمرة ، أيضاً الشجاع .

أن العفة لا تنتفى من مدينة مها فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تنذر العفة بين جبرتها وفي عشيرتها والثاني تبين الاحتيال ونهاية ما يبلغه من نفس رجل ذكي مطاع خسيس أصم الضمير ، مستببح كل محرم ، مستهين كل منكر في سبيل غايته .

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة في ألوف الجزئيات التي تؤدي إلى تصوير الغرض الكلي والفرضين الملحقين به ؟ ذلك ما يقف عليه القارئ أول وهلة من مطالعته للتمسة فإنه يشعر قليلاً قليلاً أن الأسماء تمحى ويستبدل بها أشخاص مقوّمون في أصلح تقويم لكل منهم . ويدخل متدرجاً من الوهم في الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مشاهد مما ألفه في الحياة لا يردّه إلى كونه قارئاً سوى انتهائه إلى دقة الكتاب .

ومن جهة هذا التصوير الأخاذ الذي يصور به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقد أن ذلك الأستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يتجاوز معها الحدود التي يرسمها الفن . صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود ، وهل مثل العقل الذي رزقه كان مما يقيد بقيود ؟

الشاعر الذي افتتن « فكتور هوجو » بغرابة شعره ، وجد عند فراسته وطلاقته وقوة تمثيله للمعنويات بالحسيات . مبدأ المذهب الحر الذي ذهب إليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنة الكتاب في العالمين .

الكاتب المنقب المتعمق في مظاهر الخلائق ومضمراتها مع
قدرة على المحاكاة ومهارة في الاختيار وبراعة في التأليف
وسلطة على اللفظ يستدني به أبعد المعاني ويقيد أوابد الوجدانات
الذي أعجب به المؤرخ الفيلسوف « تان » وناهيك بألوف
المعجبين غيره من قبله ومن بعده .

الأديب الذي تترجم مكتباته على وفرتها إلى كل لغات
الدنيا ، وفي بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات
وتتنوع ويميز أحاسنها المجمع الأدبي الأكبر كما أجيّزت ترجمة
« مونتيجو » و « ليتورنور » وغيرها فتطلع الأمم المختلفة الألسنة
والأجناس والأذواق والملل والنحل على مكتباته سواء في
أصلها أو في غير أصلها ، وتقرّها في أعلى منزلة عندها لجمعها
المذهيب والمطرب إلى المفكه والمفيد والمبكي والمضحك إلى
الزاجر والمؤنس .

أهذا الذي يُطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظة
ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها .

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمًا فعل . ولو أبقاه في
عنقه لما اشرأب صعداً إلى مجازاة أجرام السماء ، ولا أطاق
الإكباب إلى أبعد أغوار الأسرار في الطبائع البشرية .

من ذلك المنجم العظيم نجمت « عطيل » وهي إحدى آيات
مستخرجاته ، ولما كنت أعهد فيه من نادر المزايا وجدت من
كفني بها معاوناً على معاناة تعريبها .

* * *

فأما من جهة التعريب فأقول إن في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان في نفس فكتور هوجو .
أقرأ لغتنا أم 'نقلت اليه بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا أعلم .
ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فإن عنده
مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة وذهاباً بضروبها في كل مذهب ،
وله مثل ما لنا كلفٌ بالتنقل الوثبي من غير تهديد ولا استئذان
يدفعك من القصد إلى القصد وشيكاً وعليك أن تتمهل في فكرك
وتجد الرابطة ، وبه مثل ما بنا من الهيام في المبالغة التي لا يقبلها
من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين في تصوُّرهم حدّة
وجاح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب .
وعلى الجملة ففي كل ما يكتبه شكسبير شيء من روح البداوة
قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرة .

تناولتُ الرواية لأعرّبها وكأنني أنوي ردها إلى أصلها كما
رددتُ اسم عطيل ، وقبل أن أشرع فيها تفكرتُ في الأسلوب
الذي أختاره لها .
أهو ذلك الأسلوب المحرّق الذي تشفُّ الفصاحة فيه عن رقع
العامية ؟ لا وألفاً لا .

فتالله لو ملكتُ تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلي
إياها إلا منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نزلتُ من هيكله الذهبي
الحالص الرنان منزلّة الرجلين الخزفيتين القدرتين فهو فوقها
متداعٍ وبها مشوّه ، منتقماً لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت

عليها أكبر معوان للتصارييف التي مزقتها في الشرق والغرب كل
مزنق ، منتقماً للفصاحة نفسها وأية فصاحة في 'خشارة' (١) لا
تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد تلوث بذريرات لا تحصى من
أوضار (٢) الرطانات بأنواعها .

'بعداً لهذا الاسلوب إذن! ولنختار غيره ... أتؤثر الاسلوب
الجزل المتين القديم ؟

لا ولا ! لأن الروايات إنما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا
منها مغزى بجانب التفككة . أفنعكس عليهم تلك السنة
الشريفة التي سنتها النبي القرشي بقوله : أمرت أن أخاطب
الناس على قدر عقولهم .

بعد هذا وذاك لم يبق إلا الاسلوب الوسط وهو الذي تكون
بمقتضاه الألفاظ كلها فصيحة لكن سهلة ، وتفكك الجمل تفكيكاً
يقرب مدلولاتها من الأفهام بحاكاية لفنون المحادثات المستجدة
من غير أن يفوتنا الالتفات في ذلك التفكيك إلى أشتات ما
صنع أدباء العرب من مثله لدواعي حال مخصوصة وإن لم يالفه
جمهور الكتاب الاحتفاليين .

هذا هو الاسلوب الذي آثرته وأرجو أن أكون قد وفقت
فيه بعض التوفيق ، فتجتمع معه هذه القصة مزيتان : إحداها

(١) الخشارة : الرديء من كل شيء .

(٢) الأوضار : غسالة القصعة ، مفردا وضر .

أنها تكون عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكلم على ترتيب المخاطبة بين الفرقة قديماً وحديثاً ، والثانية أنها تمثل أقوال شكسبير حرفاً بحرف ولفظة بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الديني أو الاجتماعي الذي لها عند القوم الممثلين فيصح أن تكون هذه التجربة مثلاً للتعريب يحتمليه طلبة المدارس .

خليل مطران

أشخاص الرواية

- دوج البندقية :
برابنسيو : أحد الأعيان
أعيان آخرون
غراتيانو : أخو برابنسيو
عطيل : مغربي شريف قائد جيوش في خدمة البندقية
كاسيو : ملازمه
ياجو : حامل علمه
رَدريجو : وجيه بندق
منتانو : سالف عطيل في ولاية قبرص
مضحك وخادم لمطيل
مناد
ديدمونه : بنت برابنسيو قرينة عطيل
إميليا : زوجة ياجو
بينكا : خلية كاسيو
ضباط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ ...

* * *

المشهد الأول يجري في البندقية وسائر المشاهد في مرفأ من مرافئ قبرص .

الفصل الأول

المشهد الأول

في البندقية - طريق

(يدخل ردريجو وياجو)

ردريجو : كفى . كفى . لا تخاطبني عنه بعد الآن . أنا آسف جداً لأنك تنسّمت^(١) خبر هذه المسألة يا ياجو ... وأنت أنت الذي بددت ما شئت من مالي وصرفت يديك في نقودي كأنها من حرّ مالك .

ياجو : العجب أنك لا تريد أن تصني إلى كلامي ولعمري لو أنني فكرت مرة في خديعتك لكان لك أن تمقتني كل المقت .

ردريجو : قلت لي إنك حانت على هذا الرجل .

ياجو : إذا لم يكن ذلك حقاً فلا كانت لي كرامة عندك . ثلاثة من كبراء

(١) تنسم الخبر : تلتطف في التماسه شيئاً فشيئاً .

المدينة. سَعَوْا وتوسلوا اليه ليجعلني ملازماً له . وبحق الرجولة
إنني لأعرف قيمة نفسي وأعرف أنني كفاء لتلك المنزلة . أما
هو فإنه لم يصغ إلا إلى مشورة كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه
فتخلص من إجابة سؤالي بعبارات منقوخة مشحونة بالألفاظ
الحربية ختمها بقوله للموصين بي : « لقد اخترت ملازمي » .
ومن هو ذلك الضابط ؟ الله الله ... هو حسّاب ماهر... يدعى
ميشيل كاسيو ... رجل فيورنقي .. فحق ذهبت بلبسه النساء
الحسان ولم يُسَيَّر قط كتيبة في معترك ولا يعرف من تدبير
واقعة أكثر مما تعرف الفتاة العانس^(١) اللهم إلا من جهة العلم
النظري المستظهر من الكتب وهو علم يحسنه القساوسة كإحسانه
إياه فجعله معرفته العسكرية ثروة محض بلا عمل. ذلك يا سيدي
هو الذي وقع عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبليته أنا من
البلاء الحسن في رودس وفي قبرس وفي أمصار أخرى مسيحية
ووثنية . يسومني^(٢) قبيح الصبر على هذا التأخير ويُقدّم عليّ من
فوق رأسي ذلك المدوّن الرقام الكاتب الصيرفي يتخذة ملازماً له
وأنا - حمداً لله وسروراً بهذا اللقب - أبقي حاملَ علم لسيادته
المغربية .

ردريجو : قاله لو كنت مكانك لأصبحت جلاده .
ياجو : داء لا دواء وهو من آفات الخدمة. الرقي يُنال بالوصاة والصدقة

(١) العانس : الفتاة التي كبرت وبقيت في بيت أبيها ولم تتزوج .

(٢) يسومني : يكلفني .

لا بالسُّبْق الزماني الذي كان ينبغي بمقتضاه أن يجعل كل ثان خلفاً للأول .. بعد هذا يا سيدي أعمل رأيك فيما إذا كان يسعني أن أحب ذلك المغربي .

ردريجو : لو نالني منه ما نالك لما تبعته .

ياجو : حلاً يا سيدي وهدوء بال . إنما أتبعه لانتقم منه . لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع السادة أن يجدوا خدماً أمناً .. إنك لتلغي ^(١) بين أولئك الخدم غير واحد من البُلْه الخانعين ذوي الركب اللينة يعجبهم رقم الثقل فيفنون أعمارهم على شاكلة الحير التي تُرهق ^(٢) بالأحمال حتى إذا بلغوا من السن عِتِيّاً ^(٣) طردوا بضرب السياط طرد المجرمين . غير أنه يوجد أيضاً بين الخدم أناس غير أولئك يظهرهم بكل مظاهر الطاعة ويستعبدون كل أشكال الرعاية لكنهم يصونون ضمائرهم لخدمة أنفسهم ، ومع ما يبدوونه من الإمثال لولاتهم يوجهون مساعيهم لقضاء مآربهم حتى إذا وشوا ملابسه بالذهب حبسوا تكراماتهم على ما اكتسبوه من رفعة القدر . أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر أنني واحد منهم . بل أزيدك يا سيدي تصريحاً عن حقيقة لا تقل عن حقيقته كونك ردريجو وهي أنني لو كنت المغربي ما أردت أن أكون ياجو فإذا اتبعته فلأنا إياي أتبع ويشهد الله أنني لا أوقره . ولا أطيعه . غير أنني أداخيه بالتوقير والطاعة

(١) تلغي : تجدد . (٢) عتياً : كبر حتى شاخ .

(٣) ترهق : تحمل فوق طاقتها .

توسلا بهما إلى أغراضي، هذه خطتي وهي الكتمان فإذا جاء زمان
باح فيه ظاهري للرجل ببعض ما في باطني لم ألث أن أضع قلبي
على ردن قيصي^(١) لتتقره الحدآت^(٢) الخواطف . أنا غير ما
يرى مني .

ردريجو : إنني لأستعظم على ذلك الأسود الوبري ما يقع إليه من السعد
الذي لا يدانيه سعد فيما لو حصل على تلك الغانية أو حظي
بقربها .

ياجو : ناد أباها .. أيقظه من نومه .. ناوىء ذلك المغربي .. دس السم
في هنائه .. أجهر باسمه في الأسواق .. استشط على الفتاة
أهلها .. ثم أيا كان المرتع الخصيب الذي يحله ذلك الرجل فاقتله
بذبابه ومهما تكن سعادته هي السعادة بحقيقتها فأدركه بالوخز
والمضايقة حتى يمتقع^(٣) في عينيه لونها الزاهي ولو قليلا .

ردريجو : هذا بيت أبيها . سأناديه صادعا^(٤) .

ياجو : افعل واجعل نداءك رهيباً مستطيلا مع حزن كما يكون في ظلام
الليل وأمن الراقدين صوت الذي يستكشف النار في مدينة
كثيرة الأهلين .

ردريجو : يا هو . يا من هنا . برابنسيو . سنيور برابنسيو .

(١) ردن : كم القميص ، طرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدنانير .

(٢) الحدآت : نوع من الطيور . (٣) يمتقع : يتغير إلى صفار .

(٤) صدع : صاح بصوت عال .

- ياجو : استيقظ . يا هو . براينسيو . اللصوص اللصوص . ارقب بيتك .
 بنتك . أكياسك . اللصوص اللصوص .
 براينسيو : ما الموجب لمناداتي بهذا الصَّخَب المرعب ؟ ما الخبر ؟
 ردريجو : هل كل أهل بيتك في البيت يا سيدي ؟
 ياجو : هل أبوابك مقفلة بإحكام ؟
 براينسيو : لمَ هذا السؤال ؟
 ياجو : السؤال يا سيدي لأنك سُرقت . سُرق منك شرفك . إلبس رداءك . إن قلبك قد كُسِر وإن شطرة رُوحك قد فُقِدَت .
 أنا أكلتك وفي هذه الساعة بل في هذه الدقيقة فحل^(١) عجزوز أسود يَفْشِي نِعْجَتِكَ البيضاء . إِنْهَضْ إِنْهَضْ . أيقظ على قرع الجرس أهلَ المدينة النائمين وإلا استولدك الشيطان حفيداً .
 إِنْهَضْ إِنْهَضْ . إني حذرتك .
 براينسيو : ما هذا الهديان ؟ أجمانين أنتم ؟
 ردريجو : يا سيدي الجليل أتعرف صوتي ؟
 براينسيو : لا .. مَنْ أَنْتَ ؟
 ردريجو : أنا ردريجو ...
 براينسيو : لا أهلاً ولا مرحباً . لقد طالما حذرتك من ارتياد أبوابي وأبلفتك بصراحة أن ابنتي ليست لك ، والآن بعد أن ملأت جوفك وأفرغت فيه ما لا يسع من الكؤوس حتى أصابك المس^(٢) جئتَ بهذه المكيدة السيئة توقظني من نومي مرتعداً .

(١) الفعل : الذكر من كل شيء . (٢) مس : ضرب من الجنون .

- ردريجو : مولاي . مولاي . مولاي .
- برابنسيو : لكنِ ثِقْ أن في خُلقي وفي جُندي ما يَمَكِّنني منك فتندم .
- ردريجو : تَلَطَّفْ يا سيدي الرحيم .
- برابنسيو : ما تلك السرقة التي تذكرها لي ؟ نحن في البندقية ومنزلي ليس
بعض الأهرام في الخلاء .
- ردريجو : يا عظيم الوقار برابنسيو ، لقد جئتُك بقلب صافٍ ، وضمير
لا كَيِّدَ فيه .
- ياجو : أنت يا سيدي من الذين لا يخدمون الله لو نهامهم الشيطان عن
خدمته . ألا ننسا جئنا نسدي اليك معروفاً وأنتك ظننتنا أهلَ
بني كَدَعِ ابنتك يغشاها جواد من البربر ؟ لتلدن لك حفداء
يَصلُّون في وجهك وليكونن لك أبناء عم من الخيل وأقرباء
من المَهَارَى .
- برابنسيو : أنت مَنَ أيها الدَّعيُّ^(١) الضُّحكة ؟
- ياجو : أنا يا سيدي رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربي الآن
متكوَّنان في شكل حيوان ذي ظهري .
- برابنسيو : أنت سافل .
- ياجو : وأنت ... عضو في مجلس الأعيان .
- برابنسيو : سيكون لك معي شأن . عرفتك يا ردريجو .
- ردريجو : الشأن الذي تريده يا سيدي . لكن أبتهل اليك أن تنبئني :

(١) الدعي : الذي يدعي غير أبيه في نسبه .

أبشيتك وبقتضى حكمتك كما يكاد يثبت ذلك. خرجت كريمك
الجميلة في هذا الهزيع^(١) الآخر من الليل إذ الناس نيام وإذ لا
يزيد حارسها ولا ينقص عن أحد الفقراء الذين يخدمون الجمهور
من ملاحة الزوارق لتستسلم بين ذراعي مغربي كثيف ؟ فإن
كان ذلك بعلم منك وسماح فقد أسأنا إليك وجرؤنا عليك وإلا
فكأنني بك تهيننا ولا ذنب لنا. ولا تظن أنني تناسيت مقتضيات
الكرامة إلى حد أن أستنزلك من مقامك العالي لمثل هذه المازحة
بل أعيد عليك أن ابنتك — إذا كنت لم تأذنها — قد ارتكبت
خطأ جسيماً بمنسحبها يدها وجمالها وعقلها وروثها لأجنبي شريد
بدوي موطنه هذا البلد وله من كل أفق سواه موطن . بادِرْ
لتبشيش الهدى. فإذا كانت ابنتك في غرفتها أو في البيت فادفعني
إلى عدل القضاء ليعاقبني على خدعتي إياك كما فعلت .

برابنسيو : اقدحوا الأرندة .. يا رجالي .. هاتوا لي مشعلاً .. استيقظوا يا
أتباعي .. استيقظوا كلكم . هذا الحادث لا يختلف كثيراً عما
رأيت في حلمي .. يا لحون في مما سألقيه .. أنيروا يا رجالي
أنيروا . (ينصرف عن النافذة)

ياجو : أستودعك الله ، لأنه ليس من العقل ولا من المصلحة أن أبقى
فأتحذّر شاهداً على المغربي الذي بيده منصبني ، خصوصاً مع
علمي أن الحكومة مهما يسؤها منه هذا الخطأ فلا تستغني بلا خطر
على البلاد عن خدمة هذا الرجل ولهذا عقدت له لواء الحرب

(١) الهزيع : الربع أو الثلث .

الناشبة الآن في قبريس ولو بحثت عن غيره ما وجدت لها خيراً منه، فضرورات معيشتي قاضية عليّ مع كرهى إياه أكثر من كرهى لعذاب السعير^(١) أن أظهر له الولاء . على أنها علائم لا شيء فيها غير الظاهر .. فإذا أردت أن تجد الرجل فوجهه إلى المَعْقِل الذي فيه الضباط من استيقظ من القوم للبحث عنه وسأكون هناك بجانبه .. إلى الملتقى .

(يدخل برابنسيو وخدم معهم مشاعل)

برابنسيو : صدقتني النبأ وإن الخطبَ لجلل فلم يبق لي إلا تجرّع الصاب^(٢) بعد الهوان في القليل الباقي من أيامى . قل لي يا ردرىجو أين رأيتها ؟ ويلها من فتاة شقية ! أعمع المغربي ؟ من يجرؤ بعد هذا أن يكون والداً ؟ كيف علمت أنها هي ؟ واحرّ قلباه ! خدعتني من وراء التصور ... ماذا قالت لك ؟ هاتوا مشاعل آخر . أيقظوا كل أقاربي .. هل تزوجا ؟ أتظن أنها تزوجا ؟

ردرىجو : ذلك ما أظنه .

برابنسيو : يا للعجب ! كيف خرجت ؟ يا لحيانة الدم ! أيها الآباء لا تأمنوا بعد الآن نفوس بناتكم على ما يُبدين من الطهارة . ألا توجد ضروب من السحر تُفشّ بها الشبهة وتُستدرج العفة ؟ ألم تقرأ شيئاً في هذا المعنى يا ردرىجو ؟

(١) السعير : لهب النار .

(٢) الصاب : شجر مر إذا اعتصر خرجت منه عصارتة على هيئة اللبن .

- ردريجو : بلى يا سيدي !
 براينسيو : أيقظوا أخي . لماذا لم أرضَ بك قريناً لها . إذهبوا بعضكم من
 جهة وبعضكم من جهة أخرى ، أتعرف أين نستطيع أن
 نَظفّرَ بها ؟
 ردريجو : أظن أنني أكشفها إذا صححتني ومعلك حرس أمناء .
 براينسيو : أرشدني أرشدك الله . سادعو الناس من كل منزل وأمرني 'مطاع
 عند الأكثرين . تقلّدوا أسلحتكم . أيقظوا بعض الضباط المنوط
 بهم السهر . هلم بنا يا ردريجو وسأعرف لك هذه المنّة .

المشهد الثاني

في البندقية - طريق أخرى

(يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل)

- ياجو : لقد تعوّدتُ القتل في الحروب ولكنني ما زلتُ أخشى تحميل
 ضميري إزهاق روح عن عمد وتعوزني في بعض الأحيان مثل
 هذه الاستباحة لخدمة نفسي ، على أنني عذمتُ تسع مرار أو
 عشر مرار على إيلاج^(١) نصّلتي في ذلك الشيخ هنا تحت
 الأضلاع ولكن ...

(١) وليج : دخل .

عطيل : كان خيراً أن تجري الأمور كما هي الآن .

ياجو : والخير ما جرى. غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطعن طعناً مستفزاً في حق علمائكم بحيث إنني على قلة تقواي لم أكد أطيق الصبر على ما يقول ... لكن ألا يتفضل مولاي ويخبرني هل تم القرآن ؟ إن ذلك الشيخ الذي لقبه الشعب بالكريم محبوب جداً وله في المجلس صوت أقوى مرتين من صوت الدوج ففي وسعه أن يضطرك إلى الطلاق أو أن يحول دون مرامك بكل المكاييد والمشاكسات ^(١) التي يستمد أسبابها من القانون بما له من المقدرة والبأس .

عطيل : ليفعل ما يشاؤه حنقه . إن جلائل الخدم التي خدمت بها هذه البلاد لأبلغ في الشفاعة لي من شكاياته في الإضرار بي ... وسيعلم القوم مني - عندما يبيع الشرف الافتخار - أنني سليل بيت من البيوت المالكة وأن أعمالي تقف موقفها المالي بجانب أعتى ^(٢) المناصب التي يبلغها بالتوفيق أمثالي . واعلم يا ياجو أنني لولا شغفي بديمونة التي سحرت لي لما رضيت بكنوز البحار بدلاً من حريتي وبدأوتي اللتين لا يحدهما حد ثابت ولا تحصرها دائرة ضائقة ... أنظر أنظر ... ما تلك الأنوار القادمة نحونا من هناك ؟

ياجو : هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه . أولى لك أن تدنبل

(١) المشاكسة : المخالفة . (٢) عتى : استكبر وجاوز الحد .

- عطيل : كلا يجب أن يروني بحقيقتي كما تظهرها لهم أخلاقي وألقابي
وطهارة ذمتي . أتظنهم إياهم ؟
- ياجو : يبين لي أن القوم غيرهم .
(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)
- عطيل : خدم الدوج ... وملازمي ... طاب ليلكم يا أصدقائي جميعاً .
ما وراءكم ؟
- كاسيو : الدوج يهدي اليك تحياته ويرغب في حضورك حالاً وألا تبطيء
عنه دقيقة واحدة .
- عطيل : في أي شأن تظن ؟
- كاسيو : إن صدق ظني فهو شأن مخصوص بقبرس ويظهر أنه عاجل لأن
السفائن أرسلت في هذا الليل اثني عشر رائداً متتابعين ، وكثير
من المستشارين أوقفوا وهم الآن مجتمعون في حضرة الدوج وقد
التمسوك في منزلك بإلحاح فلما لم يجدوك بعثوا ثلاثة أرهاط^(١)
من الجند للبحث عنك .
- عطيل : من التوفيق أن تكون أنت الذي لقيتني سأدخل هذا البيت
مهلة كلمة تقال ثم أصحبكم .
(يخرج)
- كاسيو : حامل العلم ما يفعل القائد هنا ؟
- ياجو : كأنتي به غم في هذه الليلة سفينة من السفن الكبرى مشحونة
بالخيرات فإذا أقرئت له فقد أصاب الثروة الخالدة .
- كاسيو : لم أفهم ما تعني .

(١) الرهط : عدد من الثلاثة إلى العشرة .

- ياجو : تزوج .
 كاسيو : ممن ؟
 ياجو : تزوج من ... (يدخل عطيل) هيا بنا أيها القائد أنمضي ؟
 عطيل : نمضي ولا عائق .
 كاسيو : أرى جماعة أخرى قادمة في طلبك .
 ياجو : هذا برابنسيو . حذار أيها القائد . إنه لينوي شراً .
 (يدخل برابنسيو وردريجو وضباط بمشاعل وأسلحة)
 عطيل : قفوا هنا .
 ردريجو : هذا هو المغربي يا سيدي ...
 برابنسيو : أوقعوا به . هذا اللص .
 ياجو : عليّ بك يا ردريجو . قرنك ^(١) أنا يا سيدي .
 عطيل : أغمدوا سيوفكم اللامعة لأن الندى ينزل عليها الصدا ... يا سيدي الجليل إن شيخوختك لأصلح للأمر من سلاحك .
 برابنسيو : أنت أيها السارق الخسيس ؟ أين أودعت ابنتي . سحرتها يا رجل النار وأستشهد على جنائتك بأولي الأبواب . أكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال ... فتاة ناعمة كل النعيم .. آنفة من الزواج إلى حد أنها لم ترض بواحد من أغنى وأجل شبان أمتنا بعلا لها .. تتعرض للسخرية العامة بخروجها عن وصاية أبيها والتجائها إلى صدر أسود دهني كصدرك الذي يدعو إلى الخوف لا إلى السرور ؟ ليحكم الناس بيننا . أليس واضحاً وضوح
-
- (١) قرنك : خصمك وغييمك .

البداية أنك رقيتها^(١) برقى سيئة وأنك خدعت طفولتها بعقائير
أو معادن تهيج الشهوة البدنية ؟ سأضع هذه المسألة تحت البحث
لأنها معقولة بل يلمسها الفكر لمساً . فأنا قابض عليك إذن
ومهمتك بإفساد أخلاق العذارى وباستعمال صنائع محرمة وغير
مباحة قانونياً . خذوا بتلايبيه^(٢) .. وإذا قاومكم فأخضعوه
وعليه نتائج ما يصيبه .

عطيل : أنثوا أيديكم . لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع يدعوني إليه
إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما تتهمني به ؟

برابنسيو : إلى السجن حتى ينقضي الزمن الذي عينه القانون وسير القضاء
فتسأل .

عطيل : إذا أظمتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب الدوج وهذه
رسله يجاني جاء تدعوني إليه لأمر ذي بال في الحكومة .

ضابط أول : هذا حق يا أيها السيد الجليل . إن الدوج في مفاوضة وأنا واثق
من أنه بعث في استدعاء ذاك الشريفة .

برابنسيو : أية مفاوضة يعقدها الدوج في هذه الساعة من الليل - سوقوه .
إن مسألتي ليست من المسائل التافهة - سيعلمها الدوج نفسه
وسائر إخواني من أركان الدولة ويشاطرونني غمّي مما لحق بي
من الإهانة كأنه لحق بهم أنفسهم وإلا فإنه لو أبيع ارتكاب
أمثال هذه الجرائم لأصبح الأرقاء والوثنيون أولياء الأمر فينا .

(١) الترقية : أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية .

(٢) اللبابة : ثوب يابس فوق الثياب عند التحزم للعرب .

المشهد الثالث

في البندقية - رَذَّة المجلس

(الدوج جالساً إلى مائدة يحيط بها فريق من الأعيان
وضباط يقومون بخدمتهم)

الدوج : ليس بين هذه الأنباء من التشابه ما يُميز تصديقها .
العين الأول : الأنباء مختلفة جداً في الحق وقد ورد في الكتب المرسلة إليّ أن
سفنهم المحاربة سبعمائة .

الدوج : وفي الكتب التي تلقّيتها أن عدد السفن مائة وأربعون .
العين الثاني : ويُستفاد من أخباري أن السفن مائتان . غير أن الاختلاف هو
في الرقم - وفي مثل هذه الحالة 'ترسل' الأنباء تقديراً وتخميناً
وتكثر التباينات (١) - أما الحقيقة الثابتة بعد ذلك من جميع
المراسلات فهي أن هناك اسطولاً للمدوّ منجهاً بأمره
نحو قبرس .

الدوج : نعم هذا ما يقوله العقل ، وكل هذه الاختلافات في العدد تحدث
عندي قلقاً ورَيْباً .

ملاح (من الخارج) : يا هو . يا هو . يا من هنا .
أحد الضباط : رسول من السفن . (يدخل الملاح)

(١) تباين الشينان : تفاوتنا .

- الدوج : ما هنالك ؟
- الملاح : اسطول العدو ينتحي رودس وهذا بلاغ من قبل السنيور أنجلو.
- الدوج : ما قولكم في هذا الانقلاب ؟
- العين الأول : لا يُعَقَّل لأدنى تصوّر . إنَّ هي إلا محاولة ومغالطة . إذ لو تبصّرنا فيما لقبرس من الشأن الخاص عند العدو لأدركنا من فورنا أنه إنما يقصدها دون رودس لأنها أصلح وأسهل مأخذاً وليس فيها من وسائل الدفاع والميرة ^(١) ما في رودوس ، وعلى هذا لا يُقْدَف في رَوْعِنَا ^(٢) أنهم يخطئون ذلك الخطأ بتركهم قبرس وراءهم على كونها تهميتهم أولاً وأنها لهم أقيسد وإلى مثناولهم أقرب ويندفعون إلى جزيرة أخرى ينهبون عليهم منها الخطر ولا يَحْلُون ^(٣) بطائل .
- الدوج : يقيناً لا يعقل أن تكون تلك السفن مرسلة على رودس .

(يدخل رسول)

- الضابط الأول : هذه أخبار آخر .
- الرسول : أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء اتجهوا إلى رودس وعزّزوا اسطولهم بأسطول مساعد .
- العين الثاني : هذا ما كنت أقدّره - كم تظن تعداد ذلك الاسطول المساعد ؟
- الرسول : يبلغ ثلاثين شراعاً ضمّوها اليهم والآف هم عائدون ظاهراً نحو

(١) لا يقذف في روعنا : لا يداخلنا الظن . (٢) الميرة : الطعام .
(٣) لا يحلون : لا يستفيدون منها شيئاً يذكر .

قبرس . وهذا بلاغ من السنيور منتانو خادمكم الباسل الأمين
الذي يرفع اليكم تجلّاته ويرجو أن تصدّقوا بلاغه .

الدوج : تحقق إذن أن مقصدهم قبرس أليس فيها الآن مر كوليكيكو ؟
العين الأول : هو الآن في فيورنته .

الدوج : اكتبوا اليه من قبلنا وأرسلوا الأمر من الفور بريداً بريد .
العين الثاني : هذان برابنسيو والمغربي الشجاع .

(يدخل برابنسيو وعطيل وياجو ودرريجو وضباط)

الدوج : يجب علينا يا عطيل الباسل أن نستعين بك عاجلاً على عدو الوطن
(إلى برابنسيو) لم أراك قبلاً أيها السيد الشريف ، تحية
وتكريمًا . كنا في حاجة إلى مشورتك وإمدادك في هذه
الليلة .

برابنسيو : وأنا في حاجة إلى مشورتكم وإمدادكم أيضاً . أستمح من فضل
سموكم حلماً . إن الذي انتبذني من مرقي لم يكن داعي
منصبي ولا نبأ جاءني عما نحن فيه . وليس هم المصلحة العامة
همي الآن بل بي حزن خاص من تلك الأحزان المحتاجة المتغلبة
التي هي أشبه بالفيضان الجارف لكل ما يمرّ به . ذلك الحزن
قد طغى على سائر شواغلي واستغرقها وبقي وحده مالتاً نفسي .

الدوج : ما ذلك الخطب ؟

برابنسيو : بنيتي بنيتي !

الدوج والأعيان : أمات ؟

برابنسيو : سأقت عني . 'خدعت' . 'سرق' مني . أفسدت 'برقي

وعقاقير مشتراة من بعض الدجالين . وهل تستطيع الفطرة ما
لم يغيرها السحر أن تكون بلهاء عمياء حمقاء إلى ارتكاب مثل
هذا الخطأ^(١) ؟

الدوج : أياً كان الذي استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف كريمتك من
نفسها ومنك فسيلقى من القصاص أشد ما تؤوّل به نصوص
قانون العقوبات الرهيب بما ندع لك الرأي في تأويله . نعم
هكذا سيكون ولو أن الجاني هو ابننا بنفسه .

برابنسيو : شكراً لسموكم بكل خضوع . إن الرجل هو هذا المغربي الذي
سمعت أنك استدعيته الآن لبعض أمور الدولة .

الدوج والأعيان : إننا لأسفون أشد الأسف .

الدوج : بم تحبيب دفاعاً عن نفسك .

برابنسيو : بلا شيء والحق ما ذكرتم .

عطيل : يا أولى الاقتدار والرفعة والوقار سادتي الأبحاد المديرين ، حق

أنني أخذت كريمة هذا الشيخ بحيلة . وحق أنني اقترنت بها .

غير أن ذنبي لا يتجاوز هذا القدر . إني خشن في مقالي وغير

حاذق في صناعة المخاطبة باللسان السلمي العذب ، ذلك لأن هاتين

الذراعين ، منذ بلغتا مبلغها للسنة السابعة بعد مولدي إلى مبدأ

التسعة الأهلة الأخيرة من عمري ، لم تألفا من الرياضة أجل مما

ألفتا منها حيال الفلوات المضروبة فيها الحيام وفيها عدا وقائع

الحرب والجلاد لا أجدر شيئاً ينطلق به لساني إلا اليسير من أحوال

(١) الخطأ : إخطاء الرأي .

هذا العالم الواسع فإذا دافعت عن نفسي فلا قبل لي بتحلية الدفاع ولا خشية عليكم من تأثير محسناتي اللفظية ، ولهذا سأقص عليكم إن أذنتم بكلمات موجزة صريحة غير منمقة ولا مزدانة تاريخ غرامي وأذكر لكم أية العقاقير وأية الطلاسم وأية المؤامرات استخدمتها لإغراء كريتته فتعلموا مبلغ تلك التهمة من الصحة .

برابنسيو : فتاة تعيش حَيِّية هادئة خادرة تكاد تحمر خجلاً إذا أبدت حراكاً أتحالف طبعها وسنها وأمتها ومنزلتها من الجاه بل كل مسوغ مشروع لتتعشق شخصاً كانت تهيب النظر اليه ؟ من قال إن الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبتى الرأي ناقصه ، والذي تقضي به الضرورة لدى حدوث مثل هذا الحادث أن يبحث عن علته في حيلة من حيل جهنم ، فأنا ما زلت مصرراً أن ذلك الرجل أثر فيها بمزيج فعال في الدم أو بشراب مرقّي لهذا الغرض .

الدوج : الإصرار ليس بالإثبات ولا بدءاً لك من الاستشهاد بوقائع أجلي وأدق من المزاعم العرضية والتقديرية السهلة التي تدل عليها هذه الظواهر المألوفة .

العين الثاني : ليتكلم عطيل . هل اتخذت وسائل منعرفة ذات تأثير شديد لتنفث في ضمير الفتاة السم وتلكها بها ، أو تذرعت اليها بالاستعطافات والإلحاحات الجميلة التي تناجي بها النفس النفس لتستميلها ؟

عطيل : أبتهل اليكم أن ترسلوا في طلب السيدة من منزلي بالشكينة ولتتكلم عني بحضرة أبيها فإذا شهدت بشيء تستعجبونه مني فلا

تكتفوا بجرماني ثقثكم وعزلي من منصبي بل أوقعوا عقوبتكم
على حياتي .

الدوج : لتستحضر ديدمونه .

عطيل : حامل العلم اذهب وادلّسهم على مكانها (يخرج ياجو وبعض
الخدم) وفي انتظار قدومها سأقصّ على مسامعكم الشريفة
قصة هذا الغرام الذي ملكت به قلب تلك الحسناء وملكته
به قلبي .

الدوج : اذكر لنا هذه السيرة يا عطيل .

عطيل : كان أبوها يحبني . وكان كثيراً ما يدعوني فيسألني ترجحي مفصلةً
سنةً بسنة وبيان المكافحات والمحاصرات التي شهدتها وتعدد ما
أحرزته من النصّرات ، فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبقَ
في حياتي كبيرة ولا صغيرة إلا حدثته بها وذلك منذ نعومة
أظفاري إلى اليوم الذي كنت أجالسه فيه . فما وصفته له
الطوارئ الرائعة والفواجع المبكية التي لقيتها برأ وبجرأ من
مثل ما جرى لي يوماً وقد أوشكت أن أقتل في ثلثة^(١) من
ثلعات الحصار لولا لطف من الله تداركني عن قيد شعرة ، ومن
مثل استئساري يوماً لعدو وقح باعني بيع الرقيق ، ومن مثل
شرائي رقبتي وضروب الغرائب التي صادفتها في أيامي . وكان
في خلال إخباري بتلك الوقائع يدخل في كلامي تصوير مفاوز^(٢)

(١) الثلثة : فراغ لا يملأ . أيضاً : خسارة لا تعوض .

(٢) مفازة : فلاة لا ماء فيها .

فسيحة وصحارى قاحلة وعماجر كالحة وصخور وجبال تشمخ
 بقمها إلى العنان . كل هذه الأعراض كانت تمرّ تباعاً في أقوالى
 ناهيكم بمشاهداتى لأكلة اللحوم البشرية ولأقوام أخر جعل الله
 رؤوسهم تحت أكتافهم . وكانت ديدمونه تسمع هذه الأقاصيص
 بشغف . سوى أن بعض مشاغل البيت كانت بين آن وآن
 تضطرها للقيام ، فإذا انصرفت لها قضتها بأسرع ما تستطيع
 وعادت تشرب حديثى بأذن ظمأى . فلما لحت ذلك منها
 استدرجتها ذات يوم في ساعة مناسبة لتسألنى أن أقصّ عليها
 بالتام سيرة رحلاتى التي كانت قد سمعت منها 'نثفاً' ولم تتمكن
 من استتباعها فأعدتُ عليها تلك السيرة كما أرادت ، وكنتُ
 أراها غير مرة تبكي رحمةً لشبابى مما أصابنى فيه من الأرزاء^(١)
 الأليمة . وعندما ختمت قصتى كافأتني عليها بتنهدات لا تحصى
 وأقسمت أنها غريبة في الغاية وأنها محزنة إلى النهاية بحيث تمنّت
 لو لم تسمعها ، على أنها قالت في بعض ما قالت إنها كانت تودّ لو
 خلقها الله رجلاً على هذا المثال ، ثم شكرت لي معروفي وكاشفتني
 بأنه إذا كان لي صديق يحبني فحسبى أن أعلمه كيف يقصّ
 ترجمة حياتي لترضى به قريناً . هذه العبارة جرأتني فبُحْتُ لها
 بما في ضميري وعلمت منها أنها أحببتني بسبب الأخطار التي
 عانيتها وشعرتُ من نفسي أنني أحببتها لما تبينّتُ من شفقتها

(١) الأرزاء : المصائب .

عليّ ورقّتها لي . ذلك هو الفنّ الوحيد الذي توسّلتُ به إليها
من أفانين السحر . على أنها قادمة وستسمعون شهادتها .

(تدخل ديدمونه)

الدوج : أعتقد أن قصة كهذه تُستهوَى بها ابنتي أيضاً . أها العزيز
برابنسيو لا تنظرُ إلى هذه المسألة من حيث تؤمك . إن الرجال
لأشدّ دفاعاً عن أنفسهم بأسلحتهم المخطّمة منهم بأيديهم وهي
خالية .

برابنسيو : ألتمس أن تسمعوا كلامها لتعترف أنها خطّأت نصف الطريق ،
والله شهيد أن ملامتي لا تقع بشدّتها على هذا الرجل . تقدّمي
أيتها الآنسة الجميلة . أمدركة أنتِ لمن من هؤلاء الجماعة الشرفاء
يجب عليكِ الطاعة ؟

ديدمونه : يا والدي الشريف أجد هنا واجباً مقسوماً . أنا مدينة لك بحياتي
وتأديبي ومنها أعرف قدر ما يلبغي لك عليّ من التجلّيّة^(١)
وما زلتَ خليقاً بطاعتي لأنني لم أزل سليلتك . غير أن هذا
الرجل قريني وإني لمُقرّة بين يديك أنني مدينةٌ لهذا المغربي
بمثل الطاعة التي كانت تلبّيك بها أُمّي مؤثّرة^(٢) إياك على أبيها .

برابنسيو : عافاكم الله . انتهيت . أرجو من سموّكم أن يتحوّل اهتمامنا إلى
مصالح الحكومة . كان خيراً لي أن أتبنّى طفلاً ما من أن ألدّ
هذه . ادنُ منها أها المغربي . أعطيك هنا عن رضا ما كنت لا
أسمح لك به لو لم تسق إلى ملكه . لك فضلٌ عليّ يا جوهرتي

(١) التجلّيّة : الجلالة والعظمة . (٢) مؤثّرة : مفضلة .

بسرور عظيم سررتُهُ الآن ، وهو أنني لم أرزق سواك من البنات ، لأن فرارك كان يضطري أن أعاملهنّ بقسوة المستبدّين وأجعل في أعناقهنّ الحبال . انتهيت يا مولاي .

الدوج : دعني أتكلّم عنك وأذكر حكمة إذا عمل بها هذان العاشقان تدرجا إلى رضاك . حيث بطل نفع الأدوية زالت الآلام بزوال ما كان عالقا بتلك الأدوية من الآمال . البكاء على ما فات مجلبة لغيره من الآفات . من عجز عن استعادة ما ذهبت به المقادير فالأجدر به أن يحول بصره جِد المصاب إلى سخرية ودعاب . الرجل الذي يسرق فيبتسم ينتقص شيئا من السارق ، أما الذي يحزن بلا طائل فهو سارق نفسه .

برابنسيو : إذن لندع الأعداء يفصبون منا قبرس ولا خسارة علينا ما بمر في استطاعتنا أن نبتسم هذه حكمة خفيفة المجرى على لسان من في قلبه مثل ما فيها من التسلية ، أما الذي يحمل الألم والحكمة معاً فهو الذي يستعير من الصبر ما يدفعه إلى الحزن . أمثال تلك الحكمة ، وفيها الحلو والصاب^(١) مجتمعين والقوة والضعف متجاذبين ، إنما هي كلم ملتبسات على أنها ألفاظ ولسن إلا إلا ألفاظاً . وما سمعت حتى الساعة بشفاء وصل من طريق الأذن إلى قلب جريح . لنتكلّم الآن في شؤون الدولة . هذا ابتهالي اليك بكل انضاع .

الدوج : الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرس . عطيل أنت

(١) الصاب : شجر عصارته مرة .

أدرى يجهد ما تستطيعه تلك الجزيرة من المقاومة ومع أن لنا هنالك عاملاً ذكياً فيه الكفاية كل الكفاية لصيانتها إلا أن المشورة التي لها القول الفصل في تحول الأحوال هي التي آثرتك وبك تجد مزيداً من الثقة فلا بد لك من أن تشوب بهجة فرحك بأخطار هذه الحملة وضوضائها .

عطيل : العادة وهي المستبدة قد استحكت مني أيها الأعيان المتبصرون حتى جعلت مرقد الصخر والفولاذ في الحرب ألين لي من مرقد الصخر والفولاذ في الحرب ألين لي من مرقد الزغب الناعم . وإنني لأشعر بسرور طبيعي وثاب لدى مغامرة المحن القاسية . فعلي إذن تولي هذه الحرب في وجه الأعداء . وغاية ما ألتسمه منكم مع الخضوع لعظيم اقتداركم أن تجعلوا لخليتي كفالة لاثقة لمقامها فتمنحوها منزلاً وتجثروا عليها رزقاً يكونان على مناسبة شرفها وعلو محتها (١) .

الدوج : لها أن تقيم عند والدها إذا رضيت .
برابنسيو : لا أرضى .
عطيل : ولا أنا .
ديدمونه : وكذلك أنا أستعفي صيانة لوالدي من أن تخرجه رؤيتي . أيها الدوج الرحيم تقبل مني دعاء أستمد به معونتك لجراوتي .
الدوج : ماذا تريد يا ديدمونه ؟
ديدمونه : لقد أحببت المغربي حباً يقضي عليّ بالآ أفاقره في حياتي . أثبت

(١) محتها : شرف ، أصلها .

ذلك بما تعرضت له من سوء الأحداث^(١) والاستسلام للقدّر
وقلبي يعينني على تحمل جميع المتاعب التي يقضي بها عليّ منصب
هذا السيد الذي وقفت روحي وسعادي على مجده وبسالته .
فإذا تركتموني أيها السادة الأعزاء مقيمة ههنا كالقراشة في أيام
الصفاء على حين يذهب هو إلى الحرب حرمتوني إيفاء النذر
الذي نذرته لذلك الشرف الذي من أجله أحببته وسمعتوني
عذاب هجر طويل عليّ مها قصر ... فائذوا لي بالسفر معه .

عطيل : إذنا بسفرها أيها السادة . أبتهل اليكم أن تجيبوها إلى سؤالها والله
يشهد أفني لا ألتمس لها هذا العناء لمتاع نفسي وإخضاع لواعج قلبي
فقد شفيت سورته الأولى ، ولكن لقضاء رغبتها بحب وكرامة .
كما أنني أحاشي معاليكم الطاهرة من أن تظنوا أنني ساهل
الأعمال الجدية الجسيمة المنوطة بي لأن حيلتي تكون يجاني .
لا لا . ولو أنني استسلمت بفرام استسلاماً يغشى بنعيمه حزمي
وعزمي ويفسد للذاته قيامه بواجباتي لرضيت أن تأخذ قعائد
البيوت خوذي ليصطنعن منها طاسة ، وأن يباريني في شهرتي
ومجدي الزعانف^(٢) الذين يصحبهم النحس والحجل فيظهرها علي
ويسبقوني .

الدوج : ليكن من أمر حلها أو ترحالها ما تريان أنتم . الحاجة ملعة
والخطب يقتضي المبادرة .
العين الأول : ينبغي أن تسافر الليلة .

(١) الأحداث : المديح والثناء . (٢) الزعانف : الطائفة من كل شيء .

عطيل : بكل ارتياح .
الدوج : سنجتمع هنا الساعة التاسعة صباحاً فاستبق يا عطيل واحداً
من ضباطك ليحمل اليك غداً تكاليفنا ومرسومات تنصيبك
وتلقيبك .

عطيل : إذا حسُنَ لدى مرحمتكم أستبقي حامل علمي . هو رجل أمين
نزيه واليه سأعهد في إحضار امرأتي وحمل ما تشاء مرحمتكم
إرساله إلي .

الدوج : ذلك اليك . طاب ليلكم جميعاً . (إلى برابنسيو) أيها السيد
الشريف إذا صح أن الفضيلة لا تخلو قط من جمال خلاب فصهرك
أجل بكثير مما هو أسود .

العين الثاني : صحبتك السلامة أيها المغربي الباسل . أحسن معاملة ديدمونه .
برابنسيو : اسهر يا مغربي إذا كانت لك عينان ترى بها . إنها خدعت أباهما
وقد تخدعك أيضاً .

(يخرج الدوج والأعيان والضباط الخ)

عطيل : أنا أضمن أمانتها بحياتي . أي ياجو النزيه إني مضطر أن أدع لك
ديدمونه وأرجو أن توصي امرأتك بمنحها ما ينبغي من الخدم
وعليك أن توصلها إلى الجزيرة في أحسن ما يستطيع . تعالي يا
ديدمونه لم يبق لي إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدبير شؤون رحلتنا
الوقت حاكم لا بدء من طاعته . (يخرج عطيل وديدمونه)

ردريجو : ياجو .

ياجو : ماذا تقول يا ذا القلب النبيل ؟

- ردريجو : أي شيء تظنني أتمناه الآن ؟
- ياجو : لا جَرَم أن تتمنى الذهاب إلى السرير والرقاد .
- ردريجو : سأذهب لإلقاء نفسي في البحر حالا .
- ياجو : إذا فعلتَها لم أحبك بعد الآن . أتفعلها أيها الشريف الأبلة ؟
- ردريجو : البلاءة أن نعيش حيث العيش ألم، وأنجع دواء هو الموت، حيث يكون الموت هو الطبيب .
- ياجو : ياله من جبن ! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سنّي ومنذ طفليّ أتبين الإساءة من الإحسان لم أجد رجلاً يحب نفسه حق الحب . أنا قبل أن أعزم على الهلاك غرقاً لهيامي في دجاجة ما ، أوتر أن أتحوّل من رجل إلى قرد .
- ردريجو : ما في وسعي أن أعمل . أعترف أن العشق وقد بلغ هذه الغاية عارٌ عليّ ولكنه ليس في طاقتي أن أستشفي منه .
- ياجو : الطاقة ؟ ما معنى الطاقة ؟ نحن الذين بإرادتنا نكون كذا أو كذا . أجسامنا حدائقنا ومشيتاتنا بستانيوها بحيث لو عَنّا لنا أن نزرع فيها صنفاً دون آخر أو نستنبتها عشباً أو ننزع غيره أو نخدمها فتخصب أو نهملها فتُحِلّ ففي مشيتاتنا من السلطة ما يكفي لإعدادها وتنقيحها على حد ما نشتهي . ثم إنه لو لم تكن في ميزان أعمارنا كفة من العقل لمعادلة كفة الشهوة لكانت خيسة طبايعنا تدفننا إلى أوخم العواقب . غير أننا رزقنا العقل لإخاد ثورة غضبنا وتسكين لواعج أمانينا البدنية وكبح شهواتها التي لا لحْم لها . وبما تقدم أستنتج أن الذي تسمّونه

رديجو : حُبّاً إن هو إلا فُسَيْلَة كسائر الفسائل أو فرع كسائر الفر
غير معقول أن يكون الحب هكذا .

باجو : بل قل هو - وما يزيد عما أعرفه به - مطمعٌ من الدم ،
من الإرادة . تنهٌ وكن رجلاً . أتفرق نفسك ! غر
بعض الهرر أو بعض الكلاب الصغيرة العمياء . لقد أبديت
صداقتي وأحاهرك أنني مشدود إلى كرائم خلالك بحبال
خالدة ، ولم يكن قط في وسعي أن أحدمك كخدمتي
الآن . ضع نقوداً في جيبك واتبعنا إلى دار الحرب مخفياً و
وراء لحية مستعارة . ضع نقوداً في جيبك ، نصيحة من
إذ لا يُحتمل أن تستمر ديدمونه على حبها المغربي .. ضع
في جيبك ... ولا يحتمل أيضاً أنه هو سيستمر على شفق
طويلاً ، ذلك بأن البداء العنيفة في مثل هذا الاتصال
الانفصام العنيف ... ضع نقوداً في جيبك ولا تكلف
غير هذا العناء ... إن هؤلاء المغاربة لمتقلبون في أهوائهم
إملاً جيبك نقوداً . فإن الطعام الذي يحده الساعة شياً كما
سيصبح في فمه مُراً كالعلقم . وأيضاً هي ، فإنها ستبتغ
بديلاً أنضّر عوداً ، وعندما تشبع من رسمه تفتنه
اختيارها وتريد التغيير ... حتماً ... على هذا ضع نق
جيبك ... وإن كنت مُصِراً على التهالك بلا محيص ف
شيئاً أقل فظاعة من الفرق ... إجمع ما تستطيعه من النقو
فإذا لم تكن قدسية الزواج وضعف اليمين التي يرتبط بها

شريد ورفيقة من نواعم البندقية أمرين فوق المكاييد التي يفتقها
فكري وفوق جميع القوى الجهنمية فإنك لا محالة متمتع بها .
إذن هتّى نقوداً ... أتعرق نفسك ؟ ! بئس الرأي من رأي
خائب . انبِسِندَه وفضلّ أن تشنق وقد قضيت مأربك على
الفرق الذي بُقْصيك عن هذه الدنيا وفي نفسك تلك الحسرة .

ردريجو : أتنشط بلا ملل ولا انحراف لتحقيق آمالي إذا عزمت على
هذا السفر .

ياجو : أنت على ثقة مني . اذهب وأعدّد نقوداً . قلت لك مراراً وأعيد
عليك قولي تكراراً إنني أكره ذلك المغربي وبغضه له متأصل
في فؤادي كما هو متأصل في فؤادك فلنجمع ثأرينا ، وإذا استطعت
أن تدنس عرضه كان ذلك لك سروراً وكان لي تفكّهة . الليالي
يحملن كثيراً من الحوادث وسيلدنها . إلى الأمام إلى الأمام .
اذهب واجلب نقوداً ثم نستأنف المفاوضة غداً . أستودعك الله .

ردريجو : أين نلتقي غداً صباحاً ؟

ياجو : في منزلي .

ردريجو : سأذهب اليك مبكراً .

ياجو : حين تشاء . إلى الملتقى . أسمعت ؟

ردريجو : ماذا تقول ؟

ياجو : أقول إياك والفرق .

ردريجو : غيرت عزمي وسأبيع أملاكي .

ياجو : اذهب موفقاً وضع نقوداً كافية في جيبيك (يخرج ردريجو) .

بهذه الحيلة وبأمثالها جعلت هذا الأحق موضع جيبي ولو لم أفعل
لانتقصت التجارب التي اكتسبتها ، إذ لا معنى لإضاعة وقتي
مع مثل هذا الفرخ الرومي ما لم أستفد منه تسلية ومالاً . أنا
أمقت المغربي ويطن الجمهور أنه أعلى مناصبي من تحت لحافي على
أنني لا أعلم إن كان هذا الظن صحيحاً ولكن الوهم في مثل هذا
يكفي عندي للحلول محل الحقيقة . الرجل يحترمني وأحترمه
إياي يزيدني رجاء بإفلاح مكايدي... أما كاسيو فهو شاب جميل
لنفكر في أمره هنية ... ما العمل للحصول على منصبه بحيث
أكون قد أصبت رأسين عن رمية واحدة من رميات غدري ؟
أية الحيل أفضل ؟ لنفكر قليلاً . خير وسيلة فيما أظن أن آخذ
بمخادعة أذن عطيل فألقي فيها كلمة بمعنى أن كاسيو شديد
التقرب من امرأته . على أن شكل كاسيو وحسن أدبه يربيان ،
وقد خلق لإغواء الفواني . ولما كان المغربي صريح الضمير بيتن
الطوية يعتقد النزاهة في كل من يرى عليه ملمحها كان من اليسور
لي أن أقتاده من أنفه كما يقتاد الحمار . هذه مكيدتي ظفرت
بها ... فليستولدها صلب الظلام من بطن جهنم خلقاً شاذاً إذا
طلع عليه النهار ظهر فظيماً رهيباً .

الفصل الثاني

المشهد الاول

مرفأ في قبرس ورواق

(يدخل منتانو ووجيهان)

منتانو : ماذا تتبين في البحر من جهة الرأس ؟
أحد الحاضرين : لا أتبين شيئاً . البحر مضطرب جداً ولا أستطيع أن أرى
شراعاً بين السماء والماء .

منتانو : أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن إعصاراً كان
أشد على حصوننا وممتنعاتنا من هذا الإعصار . على أنه إذا كان
هذا ما فعله في البحر فأية الأشجار استطاعت أن تبقى في
منابتها عندما تحاذفت عليها جبال الأمواج . أي شيء سيجيئنا
من أخبار هذه العاصفة .

الوجيه الثاني : تفرق اسطول الأعداء . انظر من الشاطئ المضطرب ترّ الأمواج

الثائرة كأنها واثبة لتضرب السحاب ، بل كأنها حاجة بعفرائها ^(١) الرائعة المتعالية لتلقي ماءً على النار المتقدة في نجوم الدُّبّ ولتطفئ تلك الثوابت من حراس القطب . ما رأيت عمري غَضْبَةً للبحر الهائج كهذه الغضبة .

منتانوَ : إذا كان اسطول العدو لم يلبجأ إلى الموانئ فإنه لغريق وتستحيل عليه المقاومة . (يدحل وجهه ثالث)

الوجيه الثالث : أخبار جديدة يا أولادي . انتهت الحرب لأن هذه العاصفة الجوح تركت أساطيل الأعداء مكسورة الأجنحة وقد رأى غرقها وتحطُّمها مركب قادم من البندقية .

منتانوَ : يا للعجب أصدق ما تقول ؟

الوجيه الثالث : المركب قد دخل المرفأ ونزل منه فيروني ^(٢) يدعى ميشيل كاسيو . هو ملازم المغربي الباسل عطيل . ومن قوله إن عطيلاً في العباب الآن وإنه موفد لنا ليكون آمراً مطلقاً في قبرس . منتانوَ : أنا مسرور به لأنه حاكم جدير بهذا المقام .

الوجيه الثالث : غير أن كاسيو هذا على ما جاءنا به من الأنباء الطيبة عما حلّ بالأعداء لا يبدو عليه الارتياح بل هو كئيب يدعو الله لنجاة المغربي لأن العاصفة بشدتها فرقّت بينها .

منتانوَ : لنضرعُ إلى الله أن يسلمه فقد خدمتُ تحت إمركه وهو قائد لا عيب فيه . هلم إلى الشاطئ لنرى المركب الذي وصل ونزق

(١) عفرات : شعر القفا من الأسد .

(٢) فيروني : نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا .

بأعيننا مَقْدَمَ عطيل . ولنلبث ناظرين من موقفنا حتى تختلط
في أبصارنا خضرة البحر وزرقة الهواء .

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك فإنه يرجى في كل دقيقة طروق فوج من الوافدين .
(يدخل كاسيو)

كاسيو : حمداً لك أيها الباسل حاكم هذه الجزيرة لذكرك المغربي بمثل هذا
المديح . لعل الله يقيه فقد ضللت عنه في بحر زاخر بالأخطار .

منتانوا : أتقول سفينته صالحة للمقاومة ؟

كاسيو : سفينته متينة البناء ودليله ملاح مشهود له بالمهارة ، لهذا لم يضعف
أملِي بمجيئه .

صوت (من الخارج) : شراع . شراع . شراع .

كاسيو : ما هذا النداء ؟

الوجيه الرابع : حَلَّت المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطئ ، يصبحون :
هذا شراع .

كاسيو : قلبي يحدثني بأن هذا مجيء الحاكم . (قصفة مدفع)

الوجيه الثاني : تلك قصَصَات وداد فلا بد أن القادمين من أوليائنا .

كاسيو : هلاً ذهب يا سيدي فأخبرتنا من القادمون ؟

الوجيه الثاني : أنا ذاهب .

منتانوا : أقائذك متزوج أيها الملازم الكريم ؟

كاسيو : صادفته العناية فملك قلب فتاة لا يحيط بجهاها الوصف ولا

المبالغة . فتاة تفوق بمحاسنها الفطرية أبرع ما يتخيله الكاتبون
وأبداع ما يصوره المصورون . (يعود الوجه الثاني)

كاسيو : بشرنا مَنْ دخل المرفأ ؟

الوجيه الثاني : رجل يدعى ياجو حامل علم القائد .

كاسيو : وُفِّق في سفره وسَبَق الأوان . فلا ريب أن العواصف نفسها ،

والبجار الشائرة ، والرياح الزائرة ، والصخور التي تعترضها

الأمواج والرمال المتراكمة الخائنة التي تنصِّد المركب البريء

قد داخلها شبه رقعة للجمال فتحوَّلت عن طبائعها المهلكة ،

لتفسح سبيلاً أمانة تمرُّ منها ديدمونه .

منتانو : مَنْ هذه الإنسانية ؟

كاسيو : هي التي كنت أذكرها لك . هي قائدة قائدنا العظيم . جاءت

يرعى طريقها الباسل ياجو الذي وصل بها قبل الموعد بسبعة

أيام . أياها المشتري الأكبر مالك البحر أَيْدُ عطيلًا واملأ شراعه

بنسبتك القديرة ليشرف هذا المرفأ بزيارة مركبه الجميل ولينعم

بقرب ديدمونه وليذكى في قلوبنا ما خَبَا (١) من ضَرَم (٢)

الشجاعة ولينمح قبرس الأمن والسكون .

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو ودريجو وبعض الأتباع)

كاسيو : انظروا هذه كنوز المركب قد نزلت إلى البرّ . يا سكان قبرس

سجوداً لديها . تحية وسلاماً أيتها السيدة وَلِتُحِيطُ بِكَ النعم

من كل جانب .

ديدمونه : شكراً لك يا كاسيو المقدام . ما عندك من أخبار سيدي ؟

(١) خبا : ستر ، خفي . (٢) ضرم : لعب .

كاسيو : لم يصل بعد ولكنه بخير فيما أعتقد . وسيكون ههنا عما قليل .

ديدمونه : أواه ، أنا خائفة . كيف لا تكون مصاحبه ؟

كاسيو : فرقت بيننا مكافحة الماء والسماء . لكن سمعاً هذا شرع .

صوت (من الخارج) : شرع . (قصفة مدفع)

الوجيه الثاني : قصّات تحية للقلعة ، هؤلاء هم أيضاً أصدقاء .

كاسيو : وافنا بالنبا (يخرج الوجه) يا حامل العلم الكريم مرحباً بك

(إلى إمبليا) وأهلاً بك أيتها السيدة . يا صديقي يا جو ، لا

تخسّق إذا غاديت في مجامعتي لامرأتك فإن الأدب الذي رُبيت

عليه هو الذي يحملني على تجاوز اللائق (يقبل إمبليا) .

ياجو : لو أعطتك من شفتيها مقدار ما تعطيني من لسانها لا كتفيت

سريعاً .

ديدمونه : أسفي عليها لقلّتها تتكلم .

ياجو : وذمتي إنها لتتكلم فوق الكفاية . أشعر بذلك كلما جاءت ساعة

الرقاد . لا جرّم أنها في حضرتك الآن تضع شيئاً من لسانها في

قلبها ولكنها تختصمني في فكرها .

إمبليا : لا سبب يدعوك لمثل هذا اللمز .

ياجو : كيف لا ؟ كيف لا ؟ وأنّ النساء حور حين تكن خارج

البيوت ، وأجراس حين تكن في الخدور ، وهيرّ برية في

المطابخ ، وقدّسات حين تنصدين لإهانة أحد ، وشياطين حين

يجروّ أحد على تكدير كن ، وبواهل^(١) عواطل حين تجب خدمة

(١) الباهل : المتردد بلا عمل .

- المنزل ، ونشاطات مشتغلات بأمور المنزل حين تدخلن الأسرة..
ديدمونه : وَيَحْ لَكَ مِنْ نَعْمٍ ...
- ياجو : لست بنعم ، هي الحقيقة أو أنتسب لأعداء بلادي إنكن إن
تنهضنَ فلتنزه أو تدخلن الأسرة فلالشتغال بمسائل البيوت .
- إميليا : لو ابتغيت مادحاً لما استعنت بك .
ياجو : أولى لكِ ثم أولى !
- ديدمونه : ولو كلّفت بمدحي ما تقول ؟
ياجو : أيتها السيدة الشائقة لا تكلفيني عملاً كهذا لأنك إن طلبتِ مني
غير الهجو صيرتني إلى عدم .
- ديدمونه : خالف طبعك وجرب . أذهب أحد إلى الميناء ؟
ياجو : نعم يا سيدي .
- ديدمونه : لست منشحة الصدر لكنني أخادع حالة بضدها . أجبني
كيف تمتدحني .. ؟
- ياجو : أفكر في ذلك فما أجد فكري ينطلق من يافوخى^(١) إلا وهو
منتزع دماغي وسائر ما هناك كما يفعل الغراء بالوبر الطويل وقد
علق به ، غير أنه إذا كان لا بد لقريحي أن تتمخض فهذا ما
تلده : « إذا كانت المرأة جميلة وذكية فجعلها لخدمة الآخرين
وذكائها لاستخدام الجمال » .
- ديدمونه : أحسنت . فإذا كانت المرأة سوداء وذكية ؟

(١) يافوخ : أعلى الرأس ملتقى عظام الرأس .

- ياجو : إذا كانت المرأة سوداء وذكية وحسنة رجلاً أبيض لا يرى سوادها سواداً .
- ديدمونه : انتقلنا إلى أقبح مما سبق .
- إميليا : فإذا كانت جميلة وحمقاء ؟
- ياجو : لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يعينها على إيجاد وارث لها .
- ديدمونه : هذه سفاسف قديمة قيلت لإضحاك البلهاء في المحاربات فإن استزدنا فأي شيء نقوله في البشمة الحمقاء ؟
- ياجو : مها تكن بشمة وحمقاء فإنها تتركب من الفوايات ما تتركبه الحسنة الفطنة .
- ديدمونه : ما أكثف هذا الجهل ! تصف أقبح النساء بأحسن ما عندك .
- والآن كاشفنا برأيك في امرأة فاضلة واثقة من شرف خلاها بحيث لا تخشى اللوم ولا التثريب .
- ياجو : المرأة التي عاشت جميلة ولم تتكبر ، التي لزمته حد الكلام الحر في مناسبتها ولم تجاوزه إلى الطنطنة ، التي توفّر الذهب بين يديها ولم يطيش قلبها ، التي استأهلها الغرام فلم تميل وهي قائلة في نفسها لو شئت لاستطعت ، التي غيظت وملكت الانتقام فأسكنت غيظها وساحت في ألها ، التي لم تضعف عندها الحكمة حتى ترضى بذنب كلب البحر بديلاً من رأس المرجانة ، التي ذكا فكرها ولكنها لم تتجه به إلى كشف محاسن نفسها ، التي لمحت الحمين يهرعون وراءها ولم تلتفت . تلك إنسانة لو وجدت ومثلها لا يوجد ...

ديدمونه : لو تسنى وجود تلك الموصوفة فما تقول فيها ؟
 ياجو : أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغنياء وتدبير حسابات
 الفنادق .

ديدمونه : بثت النتيجة المرجاء الكسيحة . لا تتعلمي منه هذا العلم يا
 إميليأ ولو أنه قرينك . ما رأيك فيه يا كاسيو أليس هجاءً
 شديد الاستباحة عن غير خبرة ؟

كاسيو : يتكلم بلا تصنع يا سيدتي ولكنه يعجبك بسيفه أكثر مما
 يعجبك بلسانه .

ياجو (على حدة) : وضع يده في يدها . أحسنت أحسنت . ناجها (١) همساً .
 متى وجدت مصيدة من نسيج العنكبوت رقيقة كهذه الحاشية لم
 يصعب علي أن آخذ بها ذبابة لو بلغ حجمها حجم كاسيو . نعم
 ابتمسي له . تمتع . سأصيديك بليوننة أدبك . كل ما تقوله
 صحيح ... بلا ريب وذهمتي . كان خيراً لك وأنت عازم على
 استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة في فمك توسعها تقبيلاً
 لترى الحسنة أنك شاب جميل ... أحسنت . هكذا اثم الأصابع
 ما ألطف هذه المجاملة ... في الغاية في الغاية ... ما هذا ؟ أتعيد
 أصابعك إلى فمك مرة أخرى ؟ ما أشوقني لرؤية تلك الأصابع
 تتحول عند حاجتك إلى أنابيب محقنة . (يسمع بوق عسكري)
 لقد جاء المغربي عرفت بوقه .

(١) ناجه : استقبله بما يكره ، رد أقبح الرد .

- كاسيو : نعم هو هو^(١) .
- ديدمونه : بدار^(٢) للاقاته .
- كاسيو : بل قد أقبل . (يدخل عطيل ورهط من أتباعه)
- عطيل : يا حبيبتي الشجاعة .
- ديدمونه : يا حبيبي عطيل .
- عطيل : لا يعادل سروري بلقائك إلا إعجابي بأن أراك تقدمتني يا بهجة حياتي ، لو كانت جميع العواصف تنتهي إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياح تزار حتى توقظ الموتى وليت قلبي وهي تعاند المعاطب ترتفع بها جبال من الأمواج عالية كالأولبس^(٣) ثم تنحدر بها إلى الحضيض البعيد بُعد جهنم عن السماء ! أما والذي بيده نفسي لوددت أن أموت الآن من فرط ما أنا فيه من السعادة المطلقة التي أخشى ألا يعاودني مثلها في المستقبل المجهول !
- ديدمونه : أعفانا الله من أن يُنتَقَصَ حُبُّنا وهناؤنا قبل أن يحين أجلنا .
- عطيل : أجبب بآمين على هذا الدعاء يا أيتها السماوات الرحيمة ، لا أستطيع الإفصاح عما أنا فيه من الغبطة كما أتمنى . يكاد السرور لشدة يقطع علي أنفاسي ، لتكون هذه القبلة (يقبلها) غاية ما يبلغه قلبانا من الخصاص والشقاق .
- ياجو : أنبا الآن على أتم اتفاق ولكن أقسم بنزاهتي إلا ما أرخيت الأوتار التي تخرج هذه النفثات المؤلفة .

(١) هذه الهاء توضع للوقف . (٢) بدار : أسرع .

(٣) الاولبس : اسم جبل شهير ببلاد اليونان .

عطيل : هلمّ بنا إلى القصر ، أنا حامل اليكم بشرى يا أصحابي .. انتهت حروبنا بفرق الأعداء ، كيف حال الذين عرفناهم قبلاً من أهل هذه الجزيرة ؟ أي حبيبتي سيقيمون لك أفراحاً عظيمة في قبرس ولي عند ساكنيها مودة أعتمد بها ، أي حبيبتني إنني أكثر من الكلام بغير ما يجب وأكاد أهذي من وفرة ابتهاجي ، أرغب اليك يا أميني يا جو أن تذهب إلى المرفأ وتحمل إليّ أشياء ثم ادع رئيس الملاحين إلى القلعة فهو ذو براعة فوجب له الإكرام .
تعالى يا ديدمونه ، على الرحب والسعة نزولك في قبرس .

(يخرج عطيل وديدمونه)

ياجو : (مخاطباً ردريجو) إصحبني حالاً إلى المرفأ ، تقدّم إن كنت شجاعاً ، يزعمون أن سفلة الناس متى عشقوا اكتسبوا من شرف النفس ما يفوق فطرتهم ، فأصغر إليّ : الملازم يسهر الليلة بين الحرس واعلم أن ديدمونه مفرمة متيثة به .

ردريجو :

مفرمة به ؟ هذا غير ممكن .

ياجو : أقفل شفتيك بإصبعك هكذا وتعلم .. ألم تلمح بأية قوة أحببت المغربي ابتداءً وذلك لمفاخراته والأكاذيب الوهمية التي قصها عليها ؟ أتُراها تحبه أبداً لأمثال هذه الثروات ؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل ، وأي شعاع تجده حينئذ برؤية ذلك الشيطان ، متى برّد الدم بعد جهد المداعبة الغرامية كان لا بد لإيقاده ثانية ولإدخال جوع شديد على الشعب من جاذب في الملامح ، وتناسب بين العمرين ، وتوافق في العادات ، وتشاكل في المحاسن ، والمغربي خلّو من هذه الأشياء وأمثالها ، فأما وهذه المشوقات مفقودة

منه فمن المحقق أن تلك النفس الرقيقة سترى كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفؤاد^(١) تقزازاً^(٢) منه ، وأن تقلاه وتبغضه ، فحينئذ تندفع بدافع الطبيعة إلى رجل آخر تؤثره . فإذا ثبت هذا يا سيدي وهو تقدير بديهي لا شبهة فيه بقي أن الرجل الذي في طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضحكة العشاق الذي لا يتسع ضميره لأكثر من تزويق شكله بمظاهر الأدب والحشمة يخفي بها ما تحتها من أهوائه الفاسدة المنحرفة ، وايم الحق إنه لفي أحسن جادة^(٣) تبلغه هذه الغاية خصوصاً مع ما هو عليه من الليونة والتلطف لمقاصده ومن التعود على انتهاز الفرص السانحة التي ربما خلقها بدقة نظره ورشاقة حيلته فهو هزأة رجم وفوق ذلك شاب وجميل إلى سائر الصفات التي 'تحتلب' بها ألباب مجنونات الغرام ثم إنه يتصل كالمرض الممدي وحسبك منه أن المرأة قد لحتته .

- ردريجو : لا أصدق ما تدعيه لأنها ميالة إلى الفضيلة كل الميل .
- ياجو : كلمني عن فضيلتها وأكلمك عن أذنان الدين ، لو كانت كما تتوهم لما أحببت المغربي . بل إن بها صلاحاً ولكنه صلاح القطعة من حلوى البودنج . ألم ترها لاعبة بمقبض يده ، ألم ترها ؟
- ردريجو : بلى رأيها غير أنها بجمالة لا شبهة معها .

(١) الفؤاد : تعرفه العامة بالظفظة . (٢) تقزازاً : استنكاراً واحتقاراً .
(٣) الجادة : الطريق القوية .

ياجو : قسماً بيدي لا مجاملة ، ولكن مغازلة . لم تكن السبابة ^(١) أول الدهر إلا المستهيلة ^(٢) الخفية لتاريخ الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية . أوشك نغراهما أن يلتقيسا وتلاثمَ نفساهما . ذلك من ضروب من الشروع في الجريمة يا ردريجو ، وأمثال هذه الجملات متى افتتحت السير ففي العادة أن يتبعها القائد ومعظم الجند على الأثر والعاقبة الالتحام . خلّ عنك هذا يا سيدي ودّعني أقُذِّك بما أنني أحضرتك من البندقية . كن في عَسَس ^(٣) هذا الليل وسأسيرُ اليك الشعار ^(٤) . كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريباً منك . استنبط وسيلة لإغضاب كاسيو سواء بمخاطبته جهراً أم بالسخرية من نظامه أو بأي سبب آخر تختاره والأسباب ستكون متوافرة في تلك الساعة .

ردريجو : سأفعل .

ياجو : إنه يا سيدي غضوب وله مفاجآت في كدره وربما ضربك . حرّكه حتى يفعل وعندئذ أنتهز الفرصة أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرس تكون خاتمتها لا محالة عزل كاسيو وهكذا يُختَصَر سفرُك إلى غايته بما أكيدته من المكاييد لتحقيق هذه الأمنية ويزول من وجهك هذا الحائل الذي لا ندرك مع وجوده مراننا .

ردريجو : إذا سنحت فرصة لم أتردد .

(١) السبابة : ثانية الأصابع بعد الإبهام . (٢) المستهيلة : المفتحة .

(٣) عسس : حرس ، سهر .

(٤) سأقول لك كلمة المرور في المواقع العسكرية .

ياجو : ستجد الفرصة عن يقين . إلحق بي إلى القلعة بعد هنية وأنا
 ذاهب إلى المرفأ لأبعث اليه بشِقْلَه^(١) . إلى اللقاء .

ردريجو : إلى اللقاء .

ياجو : أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقد أنه يحب هي كاسيو ذلك
 محتمل وسهل التصديق . المغربي — على كرهه له — شريف الخلق
 ثابت في حبه ولعله يكون لديمومونه بعلاً وفيأ لكن أنا الآن
 احبها أيضاً لا لشهوة تُقضى — وإن كان الإحساس الذي يدفعني
 إليها لا يقل عن ذلك إجراماً — بل لأنها تهتئ لي سبيل انتقامي
 ذلك لأنني أظن أن المغربي الفاسق قد اندس في فراشي وهو
 تخمين يأكل الأمعاء أكل السمّ المعدي ولا شيء يُرَفِّقه^(٢) عن
 نفسي إلا أن أجعله عديلي ، امرأة بامرأة ، فإن لم أستطع فإن
 أثير فيه من نار الغيرة ما لا يقوى عليه العقل . ولإدراك هذا
 المرام أرجو أن يطاوعني ذلك النشاق^(٣) الحاذق الذي جلبته
 من البندقية بلا كرامة ، فإذا تبع الأثر جيداً لم أثبت أن أملك
 ميشيل كاسيو عاجلاً من كليتيه وأن اسود وجهه في نظر المغربي
 تسويداً تاماً لأنني أخشى أيضاً أن يكون بين كاسيو المذكور
 وبين القبعة التي ألبسها للنوم عداوة يسمي لإزالتها^(٤) ثم أريد
 أن يحبني المغربي وأن يشكر لي بالحمد والمكافأة جملي إياه

(١) ثقله : محمول المسافرين من ملابس ونحوها . (٢) يرفه : يخفف .

(٣) يصف ردريجو بصفة الكلب .

(٤) إشارة إلى اشتباهه في ربة ينوها كاسيو لامرأة ياجو .

جحشاً بيننا وإقلاقي راحته وإفسادي سعادته إلى أن 'يُحَنِّق'
جنونا . هذا مبدأ الخطة التي رسمتها هنا (يشير إلى جيبته)
للكيدتي . هي خطة لا تزال يحملتها مبهمه ولكن وجه الخديعة
لا ينكشف إلا إذا أتمت الخديعة فعلها .

المشهد الثاني

طريق

(يدخل منادٍ بيده قرطاس والشعب يتبعه)

المنادي : اقتضت مشيئة عطيل قائدنا الشريف الباسل بناءً على ما ورد
من الأنباء المحققة بدمار اسطول الأعداء أن يعيّد الأهليون سروراً
بهذا الحادث ، بعضهم بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام النارية
وكلٌ بالملهي والألعاب التي يؤثرها . ذلك لأن هذا اليوم عدا ما
جاء فيه من الأخبار السارة يومُ الاحتفال بقرانه . وقد أمرنا
بإبلاغ الشعب أيضاً أن جميع مطاعم القصر ومقاصفه مفتوحة
ولن يشاء أن يأكل فيها ويشرب منذ هذه الساعة الخامسة إلى
أن يُقرَعَ جرس الساعة الحادية عشرة . بارك الله في جزيرة
قبرس وفي قائدنا الشريف عطيل .

المشهد الثالث

رَذْهَة في القصر

(يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونفر من الحاشية)

عطيل : يا عزيزي ميشيل ارقب الحرس الليلة ولنعين لمسراتنا المدى الذي يقتضيه العقل لئلا نتجاوز نحن الحد الذي يميزه التصوُّن^(١) .

كاسيو : أُمِرَ يا جو بما يجب وسأرقب العَسَس^(٢) بنفسِي .
عطيل : يا جو أمين جداً ، طاب ليلكم ، نلتقي بكرة غد يا ميشيل لحاجة بي اليك ... (إلى ديدمونه) تعالي يا غرامي لنذوق من جنى ما كسبنا ذلك النعيم الذي لم نذُقْهُ إلى الآن ، طاب ليلكم .

(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)

(يدخل يا جو)

كاسيو : مرحباً بك يا يا جو ، علينا الحراسة .
يا جو : لم تجيء الساعة العاشرة أيها الملازم وإنما صرفنا قائدنا الليلة قبل الأوان من أجل غرامه ولا ملام عليه لأنه لم يقضِ إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه على كونها قطعة تليق للمشتري^(٣) .

(١) التصوُّن : صون النفس عما لا يحمد .

(٢) العسس : الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الزبنة .

(٣) المشتري : كبير الآلهة عند اليونانيين الأقدمين .

- كاسيو : إنها لسيدة شهية جداً .
- ياجو : وُحْبَّةٌ للثَّعِيبِ . أحلف لها على ذلك . .
- كاسيو : وعندي أنها أنضر المخلوقات وأرقها .
- ياجو : ثم إن لها نظرة اليك أدعى ما تكون إلى البراز .
- كاسيو : نظرة إقبال ولكن عن سلامة .
- ياجو : وإذا تكلمتُ ألا يُخال من صوتها أن ديانا^(١) تضرب نغمة الغرام على توقيع حربي .
- كاسيو : هي الكال مجسماً ولا مرأ .
- ياجو : لندع السعد يتبطن لحافها وتعالَ أيها الملازم ندخل إلى هذا المكان فقد خبأتُ فيه إبريق نبيذ وهناك بعض الكرام القبرسيين يُسرُّون بشرب نخب في صحة عطيل الأسود .
- كاسيو : لا أشرب الليلة أيها العزيز ياجو لأن رأسي من أضعف الرؤوس وأقلها تحملاً للخمر وكان بودِّي لو أن الأدب اخترع لنا وسيلة غيرها للتودُّد والتجامل .
- ياجو : الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلا كوباً واحداً ، بل أشربه عنك .
- كاسيو : ما تعاطيت الليلة إلا كوباً واحداً مقتولاً (بالمزج) ومع ذلك قد بدا عليّ أثره . إني أسيف لهذا الضعف ولا أجزؤ أن أحمل نفسي كوباً آخر .

(١) ديانا : إلهة الصيد .

ياجو : أتصرّ على الامتناع أيها الصديق والليلة ليلة عيد وأصدقائنا
يتمنون مساقاتنا النخوب ؟

كاسيو : أين هم ؟

ياجو : بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم .

كاسيو : سأفعل ذلك على أنه لا يمجيني .

ياجو : إذا استطعتُ أن أسقيه كأساً غير التي شربها قبلاً امتلاً من

الخصومة والسباب كامتلاء الكلب الذي تعوله مولاتي الجميلة...

ومن جهة أخرى فإن ردريجو رفيقي المريض الأبله الذي قلبَ

الحب دماغه قد شرب الليلة كأساً بعد كأس تكرماً لديدموه

وسيكون مع العسس ، وهناك أيضاً ثلاثة من فنية قبرس كرماء

النفوس شديده التحمس في مسائل الشرف لو اندفعوا في كرية

اندفع معهم جميع سكان قبرس الشجعان قد سقيتهم إلى الشرق

وسيكونون من الحراس . بقي عليّ أن أستفز كاسيو بين هذا

القطيع من السكارى المدمنين لإتيان أمر يعتدونه 'مهيئاً للجزيرة

وأهلها ، لكن أراهم قادمين ، ولئن طابقت النتائج مقدمات

تدبيري سارت سفيني على ما أشتهي بمعونة المد ومواقفة الريح.

(يدخل كاسيو ثم منتانو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون

آنية الشراب)

كاسيو : لقد أوصولني إلى حد النشوة .

ياجو : هاتوا خمرأ (يتغنى) :

دعوني أرتن الدن^(١)
 دعوني أرتن الدن^(٢)
 ما الجندي إلا إنسان
 ما العمر إلا دقات
 خلوا الجندي يشرب ماشاء
 هاتوا نبذاً يا أولادي

كاسيو : بالله انشودة جميلة .

ياجو : تعلمتها في إنجلترا التي أهلها أقدر الناس على تفريغ الدنان بلا
 نزاع ، أما الدانمركيون والالمان والهولنديون ذوو البطون
 الكبيرة . هاتوا خيراً . فإنهم لا شيء في مقابلة الإنجليز .

كاسيو : وهل الحقيقة على ما تصف ؟

ياجو : الواحد منهم يعاطي الدانمركي حتى يدعه ميتاً من السكر وهو
 لم يتعب ، كما أنه يغلب الالمان في هذا المجال ولا يعرق ، فإذا
 ناظر الهولندي أرسله يتقياً قبل أن يملأ الزق^(٢) الثاني .

كاسيو : في صحة قائدنا .

منتانو : اشرب هذا النخب أيها الملازم وأنا قريبك^(٣) مهما ترفع الكأس .
 ياجو : واهاً لإنجلترا الشائقة (ينشد) :

(١) الدن : وعاء كبير فخاري .

(٢) الزق : وعاء من الجلد . (٣) قريبك : مغالبك .

كان الملك إثنين نبيلاً شريفاً
 يشتري سراويلاته بتاج^(١)
 ويظنه مغبوناً بستة بنسات من الثمن نقداً
 يلقب الطرزي^(٢) بالضحكة
 كان شاباً بعيد الشهرة
 وأنتَ لست إلا رجلاً دينياً
 الكبرياء مضيفةً للأمم
 فقم وتدفّر بدثارك العتيق
 (نبيلداً يا غلمان) .

- كاسيو : بذمتي هذه الأغنية ألطف من الأولى .
 ياجو : أتريد أن أعيدها عليك ؟
 كاسيو : لا . لأنني أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال غير حدير
 بمنصبه . على أن الله فوق العباد والعباد فريقان يوم الدين :
 ناجون وغير ناجين .
 ياجو : هذا حق أيها الملازم الكريم .
 كاسيو : أما أنا فأرجو أن أكون ناجياً ولا يؤاخذني في ذلك القائد
 ولا أي رجل ذي مكانة .
 ياجو : وأرجو النجاة لنفسك مثلك .
 كاسيو : نعم ولكن بعدي لأن الملازم يجب أن ينجو قبل حامل العلم ،
 لكن حسبنا حديثاً في هذا المعنى ...

(١) تاج : نوع من العملة . (٢) الطرزي : خياط الملابس .

لنلتفت إلى شؤونا. اللهم اغفر لنا خطايانا. أيها السادة لنلتفت إلى شؤونا ... لا تظنوا أنني سكران يا سادتي ، هذا حامل حامل علمي ، وهذه يمناي وهذه يسراي ، لستُ سكران البتة . أستطيع الوقوف قوياً والتكلم حسناً .

الجميع : حسناً جداً .
كاسيو : على المرام . إذن لا ينبغي أن تظنوني سكران .
منتانو : إلى الرواق يا سادتي نرتب العسس . (يخرج كاسيو)
ياجو : أنتظر هذا الرفيق الخارج الآن ؟ هو جندي لائق للخدمة تحت إمرة قيصر ولتولي القيادة العامة . إلا أنه مصاب بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفة بالغة منه مبلغ فضله فهو بينهما شطران مستويان . غبن عظيم . وإني لأخشى أن تكون الثقة التي لعطيل به سبباً في زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يوماً على منكرة من منكراته .

منتانو : أكثر ما يكون على مثل هذه الحالة ؟
ياجو : هذه الحالة تكون على الدوام مقدمة لمنامه . وإذا لم تُرَقِدْه الذشوة فقد يقضي يومه بليله مستيقظاً .

منتانو : يحسن أن يُنبه القائد إلى هذه الخللة فقد لا يراها فيه وقد تكون الفضائل التي يجدها عنده حاجبةً نظرَه عن عيوبه .
ألا ؟ (يدخل ردريجو)

ياجو (مخاطباً إياه على حدة) : ما أتى بك يا ردريجو ؟ إذ ذهب عدوؤا وأدرك الملازم . إذ ذهب . (يخرج)

منتانو : من الحيف أن يعرض المغربي العظيم للخطر منصباً ذا! بال كمنصب نائبه بتركه إياه بين يدي رجل مصاب بأفة كهذه لا يرجى شفاؤه منها ، ومن المروءة أن يفاتح في هذا الشأن .

ياجو : أنا لا أفعل ولو أعطيت هذه الجزيرة كلها بدلاً من إقرارني لأنني أحب كاسيو وبودّي لو أستطيع شفاؤه مهما أبدل فيه من مرتخص وغال لكن أسمع صوتاً ... ما هذه الجلبة ؟

(يعود كاسيو دافعاً أمامه ردريجو)

كاسيو : يا خسيس ... يا نذل .

منتانو : ماذا جرى يا ملارم ؟

كاسيو : غيّ يعلمني واجبي ، سأضربه ضربة تسحقه حتى يدخل في زجاجة .

ردريجو : تسحقني ؟

كاسيو : أترثر يا دنيء ؟

منتانو : حلماً يا سيدي الملازم ، أضرع اليك ! اكفف يدك .

كاسيو : دعني ، أنت يا سيدي ، وإلا كسرت فكك .

منتانو : كفى كفى أنت سكران .

كاسيو : سكران ؟ (يتضاربان بالسيوف)

ياجو (مخاطباً ردريجو على حدة) : طيرٌ وصيحٌ : فتنة فتنة (يخرج ردريجو)

حللك أيها الملازم الكريم . أسفاً يا أيها السادة . المعونة يا للناس .

سيدي الملازم . سنيور منتانو . المعونة . نعم الحراس (يقرع

جرس الخطر) من يقرع هذا الجرس ؟ قف . ستستيقظ المدينة .

يا قوة الله . هدى غضبك أيها الملازم ، ستلتحق بنفسك
عاراً خالداً . (يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)

عطيل : ماذا يجري هنا ؟
منتانوا : تالله إن دمي ليسيل بلا انقطاع ، وإني لجريح جرح الموت .
عطيل : كفّا إن كنتما تأبهان ^(١) للحياة .
ياجو : حسبك يا ملازم ، حسبك يا منتانوا ، أنسيتم أن أنتما ، وما يجب
عليكما ؟ قفّا ، إن القائد يخاطبكما ، اخجلا وقفا .
عطيل : كفّوا هذا القتال البربري ، ومن اجترأ منكم أن يخطو خطوة
بعد لشفاء غليله نفسه لا قيمة لها عنده وإني لمورده حتفه لأول
حراك يبدو منه ، أسكتوا هذا الجرس الذي يفزع الجزيرة
ويوقظها في هلع . ماذا يا سادة ؟ أنت يا ياجو الأمين الذي
'شجبت' شحوب الموت من الحزن ، تكلم من البادية بهذه
الخصومة ؟

ياجو : ما أدري ... كانوا أصفاء منذ هنية كأصفى ما يكون
العروسان حين يخلعان ملابسها لدخول السرير ، فما شعرت إلا
وكانت سيارة من السماء بذرت بينها الشقاق فانتضيا سيفيهما
وتهاجما يتشاخنان . كيف كان مبدأ هذه المبارزة ؟ لا أعرف .
ولكنني كنت أودّ لو 'فقدت' ساقاي في حرب شريفة ولم
تحملاني إلى هذا المشهد .

عطيل : أي شيء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد ؟

(١) تأبهان : تكثران .

كاسيو : عفوك يا سيدي لا أستطيع التكلم .
 عطيل : يا منتانو الشريف أنت متعود اجتنب المُنزُريّات (١) وكنت
 في أيام شبابك ساكناً وقوراً يحلّك الناقدون الحازمون ، فما
 دعاك لإلقاء هذه الشبهة على سمعتك واستبدال لقب « معربد
 ليلى » بما كان لك من الكرامة العزيزة ؟ أجبني .

منتانو : أي عطيل الشريف ، لقد 'جرحت' جرحاً موبقاً (٢) يجهدني معه
 الكلام وإن ضابطك باجو ليقدر على إنباتك بكل ما أعلم . على
 أنني لم أقل الليلة ولم أفعل شيئاً ألام عليه ، إلا إذا كان رفقنا
 بنفسنا في بعض الأحيان عيباً ، وكان دفاعنا حين يُعتدى
 علينا إثماً .

عطيل : بالله العظيم لقد أخذ دمي يملك عليّ جوانحي بدل الرويّة والتؤدة
 وطفق الرجز يتفشى بصبرتي ويدفعني إلى ما أكره ، ولو
 خطوت خطوة أو حرّكت هذه الذراع لسقط خيركم يتخبط
 تحت غضبي . نبتوني كيف ابتدأت هذه الخصومة القبيحة وامن
 أثارها ؟ فلئن كانت شقيقي وتوأمي الذي 'ولد ساعة مولدي' ،
 لأقصينّه عن نعمتي . يا عجباً !! أيُدار قتال في موقع حربي
 لا يزال أهله في تأثر شديد وخوف مرهق ؟ ومتى ؟ في ظلام
 الليل . وأين ؟ بين فصيلة الحرس . إنه لأمر فظيع ، أي باجو
 من بدأ هذه الخصومة ؟

(١) المزريّات : الهجولات . (٢) موبقاً : ممتناً .

منتانو : إذا لم تقل الحقيقة مراعاةً منك للصحة أو للزمالة فلست
يخندي .

ياجو : لا تخرجوني بهذه القوة ، خير لي أن يُنتزَع لساني من التفوه
بلفظة تكدر ميشيل كاسيو ، غير أنني واثق من أن الذي
سأذكره لا يُضر به فتيلاً . فاسمع ما جرى أيها القائد : بينما كنا
نتسامر أنا ومنتانو دخل رجل يستغيث وكاسيو متبعاً إياه يريد
ضربه بسيفه المسلول فتصدى هذا الشريف لكاسيو يلتمس منه
العفو عنه ، وتبعت أنا ذلك الرجل المستصرخ لننعه من احتياج
الاهلين بصيحاته كما فعل ، على أن الرجل كان أسرع مني عدواً
فما لبثت أن تركته ورجعت ، فإذا أنا بنصليتين تتلاقيان
وتصليان وبكاسيو يقذع^(١) بالفاظه قذعاً ما سمعته منه قبل
الآن ، على أنني ما كدت أبلغها حتى كنا قد تركا النصليتين
وشرعا يتراكلان^(٢) ، ولا أقدر أن أقول شيئاً آخر عن هذه
المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يسهو ويخطيء ،
فلئن كان كاسيو قد أهان هذا الرجل الكريم ، ومع الغضب ربما
ضرب الإنسان أصدق الناس مودة له ، فلا بد أن كاسيو قد لقي
من الرجل الذي هرب إهانة بشعة ذهبت بصره .

عطيل : يا ياجو إن نزاھتك وصادقتك تحملانك على تلطيف الأمر
ليكون أقل وقرأ على كاسيو ، ولكن اعلم يا كاسيو أنني احبك
وأنك لن تكون ضابطي أبداً الدهر .

(١) يقذع : يشتم . (٢) يتراكلان : يتضاربان بالأرجل .

(تدخل ديدمونه وحاشيتها)

عطيل : انظروا إن حبيبي وخالبة لبتي قد استيقظت بسبب الجلبة .
(إلى كاسيو) سأجعلك عبرة وعِظة .

ديدمونه : ما الذي حدث ؟

عطيل : كل شيء على ما يرام الآن يا حبيبي ، عودي إلى سريرك (إلى منتانو) سأكون بنفسي آسي^(١) جراحك ، انقلوه (ينقل منتانو) إذهب يا ياجو وطف المدينة وأمن الخائفين . تعالي يا ديدمونه . من حياة العسكري أن يستيقظ من منامه على جلبة القتال .
(يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو : ما بالك ؟ أنت جريح يا ملازم ؟

كاسيو : نعم وبغير شفاء .

ياجو : لا سمح الله .

كاسيو : سمعتي سمعتي ، فقد الجزء الخالد مني ، وبقيت البقية الحيوانية .

سمعتي ، ياجو ، سمعتي !

ياجو : ظننتُ وائيمُ نزاھتي ، أنك أصبتَ بجرحٍ بسدي ، ذلك أشدُّ

خطراً من الإصابة بجرح في السمعة ، وما السمعة على الحقيقة إلا

أكذوبة باطلة تنال في الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب .

فلستَ بفاقد سمعتك إلا إذا أذعت أنك فقدتها . تنبّه يا صاحبي .

لا تزال لك وسيلة لاستعادة رضا القائد فقد عزلك في ساعة

غضب لا عن سياسة ولا عن مكر بل كما يفعل الذي يضرب

(١) الآسي : الطبيب المداري للجراح .

كلبه ولا يذنب ، ليرْهَب أسداً هَصوراً . استعطفه عليك
ينعطف .

كاسيو : افضل أن ألتمس من الناس تحقيري على خديعة مثل هذا القائد
العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطاً نَزَقاً سكيراً قليل
الاحتراس في هذا الحد .

ياجو : أنت وكل حيّ عرضة للسكر في ساعة ما أبها الصديق . خذ عني
الآن ما ينبغي لك عمله . إن امرأة قائدنا هي التي أصبحت
قائدنا ... لأنه قد انصرف كل الانصراف إلى تمتيع نظره وقلبه
بحاسنها ومكارم أخلاقها ... فاذهب اليها وأقررْ بذنبك
صريحاً والتمس منها بإلحاح وإلحاف أن تعينك على العود إلى
منصبك فلا تلبث أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فطرتها تجد
من الرذيلة عدم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها .

كاسيو : أسديتني خير نصيحة .

ياجو : كن واثقاً أنها نصيحة خلوص وحسن نية .

كاسيو : أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد الى ديدمونه الطاهرة
وأبتهل اليها أن تتولى أمري فإذا لم يسعدني الحظ مع وساطتها
فقدتُ كلَّ رجاء .

ياجو : إنك لفي المنهاج السويّ . طاب ليلك أيها الملازم . يجب أن
أسهر في العسس .

كاسيو : طاب ليلك أيها الصفي ياجو .

ياجو : هل لجريء أن يزعم أنني أمكر مكرأ سيئاً حين أنصح نصيحة

كهذه خالصة صريحة سهلة التحقيق لا وسيلة غيرها لكسر شرّة
المغربي واستعطافه ؟ أو هل أكون غداراً حيث أشير على كاسيو
بالخطّة التي توصّله توّاً إلى فائدته ؟ إيه يا آلهة سقر متى أراد
الزبانية^(١) الإيعاز بأشنع الخطايا صورها في المبدأ بأبدع الصور
السمّوية كما أفعل الآن ، لأنه بينما ذلك الأبله السليم الطويّة يسعى
لدى ديدمونه لاستعادة مكانته ، وبينما هي تشفع له عند المغربي
بقوّة ، أدسُّ أنا في أذن عطيل 'سم' الريب في حقها بما أدخله
على قلبه من أن رقتّها لكاسيو ليست عن مبرّة ولكن عن
شغف أثم . بقدر ما تزداد إلحاحاً في التماس الرأفة له يزداد
تأييدها لسوء الظنّ بها عند المغربي ، وهكذا آخذها في فَنخٍ
فضيلتها وأستخرج من مروءتها الفَنخ الذي اوقعهم فيه جميعاً .

(يخرج)

(١) الزبانية : الشياطين . أشخاص مهمتهم دفع أهل النار إليها .

الفصل الثالث

المشهد الأول

تجاء القصر

(يدخل كاسيو وفصيلة موسيقارين)

كاسيو : يا أساتذتي اضرخوا هنسا ، وسأ كافنكم على ما تجيدون . اضرخوا
لحنأ مختصراً لتهنئة القائد بيومه السعيد .

(تعزف الموسيقى)

(يدخل المضحك)

المضحك : مهلاً يا أساتذتي . أذهبت معازفكم^(١) إلى نابلي^(٢) فعاتت منها
بهذه الغنئة الأنفية ؟

موسيقي أول : ما قصدك يا سيدي ؟ ما القصد ؟

المضحك : هل هذه الآلات آلات هوائية ؟

(١) المعارف : آلات النفع الموسيقية . (٢) نابولي : بلدة في إيطاليا .

موسيقي أول: طبعاً يا سيدي .
المضحك : هذه نقود أرسلها القائد ويرغب اليكم وُدّيّاً أن تكفّوا هذه
الفوغاء .

موسيقي أول: سنمتنع يا سيدي .
المضحك : إن كنتم تعرفون أنغاماً لا تُسمّع فاضربوها. أما الموسيقى التي
'تُسمّع' فالقائد غير مُولّع بها .

موسيقي أول: ليست عندنا الموسيقى التي تشتهيها .
المضحك : إذن ضعوا زماميركم في أكياسكم وانطلقوا لأنني ذاهب. تلاشّوا
في الهواء . توارّوا . (يخرج الموسيقيون)

كاسيو : أرجو أن 'تحتبّس' مهارتك^(١) عني . هذه قطعة ذهب ولي
الك رغبة : متى استيقظت السيدة التي تخدم امرأة القائد فقل
لها إن رجلاً يدعى كاسيو يود أن تمنحه مقابلتها هنيئة ...
أتفعل ؟

المضحك : لم يمضِ إلا دقيقة منذ هبطت عن سريرها ، وسألني إليها كلمة
لتهبط إلى هذا المكان إن أرادت .

كاسيو : إفعل ذلك يا صاحبي العزيز .
(يخرج المضحك)

(يدخل يا جو)
كاسيو : يا جو ، جئت في ميقات الحاجة اليك .
ياجو : يلوح لي أنك لم تنم .

(١) المهارات : السقط من الكلام والخطأ فيه .

كاسيو : طلع النهار قبل أن نفترق وقد اجتذأت أن ارسل في طلب امرأتك رجاء أن تلتمس لي موعداً من الفاضلة ديدمونه .

ياجو : سأبعثها اليك حالا ، وأحاول بقاء المغربي بحيث تملكان الوقت الكافي للتكلم فيما لك من الشأن .

كاسيو : شكراً لك جزيلاً (يخرج ياجو) لم أعرف قط فيورنتيا أمضى في الخير وأشدّ وفاءً . (تدخل إميليا)

إميليا : صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم . أنا حزينة لما أحزنك ، ولكن الأمر سيُصلَح كما أرجو ، والقائد وامرأته يتباحثان في هذه المسألة . هي تدافع عنك بقوة ، وهو يجيب أن الرجل الذي جرحته عالي السمعة في قبرس وله 'قربى موشوجة' (١) الأعراق بين كبراء الجزيرة فكان لا مندوحة (٢) له من عزلك أو يخطئ الرأي ، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من الوصاة بك إلا ما يوحيه وُدّه ، فهو سيفتتم أول فرصة تسنح لردك إلى مكانك .

كاسيو : مع هذا أرجو منك إذا كان في الإمكان أن تهتني لي اجتماعاً بديدمونه اكلمها فيه على حدة .

إميليا : تفضل واتبعني أجعلك في موضع تخاطبها فيه براحة وصراحة .

كاسيو : هذه منّة عظيمة .

(١) موشوجة : مشبكة . (٢) لا مندوحة : لا غنى .

المشهد الثاني

مسكن في القصر

(يدخل عطيل وياجو ووجهاء)

عطيل : إُدفع هذه الرسائل إلى الملاح ياجو وليُحْمَلْ إلى مجلس الأعيان سلامي . بعد هذا أنا ذاهب للتنزه ومشاهدة أعمال التحصين ، فمتى عُدتَ فالقني هناك .

ياجو : سأفعل يا سيدي الكريم .

عطيل : والآن أيها السادة أنمضي لنرى المعازل ؟

الوجهاء : سمعاً وطاعة . (يخرجون)

المشهد الثالث

في القصر

(تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا)

ديدمونه : رثقُ يا عزيزي كاسيو أنني سأبذل جهدي لخدمتك .

إميليا : افعلني مشكورة يا سيدتي فإن زوجي شديد التألم لهذا المصائب كأنه مصابه .

ديدمونه : نِعْمَ الْفَتَى الْوَفَى ! لَا تَرْتَبْ يَا كَاسِيوْ أَنْتِي سَاعِيدُ الصَّدَاقَةِ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَرِينِي كَمَا كَانَتْ قَبْلًا .

كاسيو : يَا سِيدَتِي الْكَرِيمَةُ مَهَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرٌ مِيشِيلْ كَاسِيوْ فَإِنَّهُ إِلَى آخِرِ
الدَّهْرِ خَادِمُكَ الْأَمِينُ .

ديدمونه : أَعْتَقِدُ هَذَا وَأَحْمَدُكَ عَلَيْهِ . أَنْتِ تَحِبُّ مَوْلَايَ وَتَعْرِفُهُ مِنْ عَهْدِ
طَوِيلٍ ، فَلَا تَحْسَبْ أَنَّهُ يَدْعُوكَ مَقْصِيًّا عَنْهُ إِلَّا مَهْلَةً مَا تَقْتَضِيهِ
السِّيَاسَةُ .

كاسيو : أَجَلْ يَا سِيدَتِي وَلَكِنْ هَذِهِ السِّيَاسَةُ قَدْ يَطُولُ أَجْلُهَا ، وَقَدْ
يَتَخَلَّلُهَا مِنَ الْمَعَازِيرِ التَّافِهَةِ الْأَسْبَابُ وَالْإِرْتِبَاكَاتِ الَّتِي يَحْيِي بِهَا
تَحَوُّلُ الْأَحْوَالِ مَدَّةَ انْصِرَافِي عَنْ مَنْصِبِي وَحُلُولِ غَيْرِي بِمَحَلِّي ، مَا
'نَفْسِي قَائِدِي' خُلُوصَ حَيٍّ لَهُ وَسَوَابِقُ خِدْمَتِي .

ديدمونه : لَا تَدَاخِلْكَ هَذِهِ الْخُشْيَةُ . أَضْمَنْ لَكَ مَنْصِبَكَ بِشَهَادَةِ إِمِيلِيَا
وَأَبْقِنِ أَنْتِي مَتَى وَعَدْتِ وَعِدًّا وَدُيًّا وَقَيِّتِ بِهِ إِلَى آخِرِ
حَرْفٍ مِنْهُ . سَأُظَلُّ 'مُلِحَّةً' عَلَى مَوْلَايَ مَكْرَرَةً لَدَيْهِ التَّمَاسِي
حَتَّى أَرُدَّهُ عَنْ جِمَاحِهِ ، بَلْ سَأَجْعَلُ فِرَاشَهُ شَبَهَ مَدْرَسَةٍ ،
وَمَائِدَتَهُ شَبَهَ خُلُوعَةٍ لِلْإِعْتِرَافِ ، وَأَدْخُلُ فِي كُلِّ مَشَاغَلِهِ طَلِبَ
كَاسِيوْ ، ذَلِكَ لِأَنَّ مُحَامِيكَ يُوَثِّرُ الْمَوْتَ عَلَى تَرْكِ قَضِيَّتِكَ .

إِمِيلِيَا : سِيدَتِي هَذَا سِيدِي قَادِمًا .

كاسيو : سِيدَتِي إِذْنُكَ بِالْإِنْصِرَافِ .

ديدمونه : امْكُثْ وَاسْمَعْ مَا أَقُولُهُ لَهُ .

كاسيو : الْآنَ لَا ، يَا سِيدَتِي ، لِأَنَّنِي فِي أَشَدِّ الْإِنْزِعَاجِ وَغَيْرِ كَفِّهِ لِلْخِدْمَةِ
مُصْلِحَتِي .

- ديدمونه : إفعل ما تستصوب . (يدخل عطيل وياجو)
ياجو : أفّ ما أحب هذا .
عطيل : ماذا تقول ؟
ياجو : لا شيء يا سيدي ... أو . لا شيء .
عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذي فارق امرأتي الساعة ؟
ياجو : كاسيو يا سيدي ؟ يقيناً لا ، ما أظن ... لو كان هو ما فرّ فرار
المجرم حين رآك مقبلاً .
عطيل : أظنه إياه .
ديدمونه : كنت يا سيدي أخطب ذا حاجة . رجلاً حزيناً في الغاية
لأنصرفك عنه .
عطيل : من تعنين ؟
ديدمونه : ملازمك كاسيو ، أي سيدي لئن كانت لي خطوة في عينيك
وقدرة على استعطافك إن رجائي أن تتفضل عليه وتصفح عنه
لأنه رجل صادق الحب لك . وإنما أخطأ عن جهل لا عن عمد ،
وإلا خابت فراستي في وجوه الأوفياء . أبتهل أن تعيده إلى
منصبه .
عطيل : أهو الذي كان منصرفاً من هنا ؟
ديدمونه : نعم هو . وكان كثيراً كاتباً تركت في نفسي أثراً من حزنه
وشرّاً من ألمه . يا حبيبي ناشدتك غرامنا إلا ما أرجعته .
عطيل : الآن لا ، يا ديدموني الرقيقة ، ولكن في وقت آخر .
ديدمونه : أيكون هذا الوقت الآخر قريباً ؟

عطيل : أقرب ما يكون إكراماً لك يا عزيزتي .

ديدمونه : أعلى العشاء الليلة ؟

عطيل : الليلة ؟ لا .

ديدمونه : أغداً الظهر ؟

عطيل : لن أتغدى في البيت غداً لأنني سألحق بالضباط إلى القلعة .

ديدمونه : إذن غداً مساءً أو الثلاثاء ظهراً أو الأربعاء صباحاً ... أتوسل

إليك أن تعين الميعات ولا يزد على ثلاثة أيام ... إنه وذمتي

لنادم على خطيئته وهي في رأي الأكثرين ليست من الخطايا التي

تستلزم أدنى ملام إلا إذا صدقت قاعدة القائلين بأنه يجب في

الحرب تأديب الأمثليين ليعتبر سواهم بهم . متى يعود ؟ قل لي

يا عطيل ، إنني لأسائل ضميري عن شيء تطلبه مني ولا أجيبك

إليه أو أتردد في الإجابة . عجباً ! أميشيل كاسيو الذي كان

أمين سرنا في غرامنا وكان يدافع لديّ عنك حين أذكرك بغير

ما يعجبه ، ينبغي لي أن أشفع له بكل هذا الإلحاف لتصفح

عنه ... ما كان أسرعني لإجابتك إلى أقصى الرغائب لو بدت

لي منك إشارة .

عطيل : كفى وحياتك ... ليعد حين يشاء ... لا أمنع لك سؤالاً .

ديدمونه : على أن عودته لا يُعد إحساناً مذكوراً . سألتك إياه كما سألك

أن تلبس قفازيك^(١) أو تتغذى بطعام أو تستدفيء من برد أو

(١) القفاز : ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد .

تفعل أي فعل يفيد صحتك ، لكن علمت الآن أنني إذا جدتُ
لي عندك أمنية كانت تلك الأمنية عظيمة الشأن صعبة التحقيق .
عطيل : لن أرد لك أمنية فكوني متفضلة وامنجيني هنية أخلو
فيها بنفسى .

ديدمونه : أكنث رادة لك أمراً . لا ... إلى الملتقى يا مولاي .

عطيل : سأوافيك من غير إبطاء .

ديدمونه : تعالي يا إميليا . إفعل ما يوحى اليك الضمير . مهما تشأ فإنني
خاضعة .

عطيل : يا لها من شاطرة آخذة بالألباب . احبك ولو سامني حبك
عذاب الآخرة . فإذا انصرفت عن هواك يوماً . . فهنالك تعاودني
الفوضى والظلمات .

ياجو : أي مولاي الشريف .

عطيل : ماذا تقول يا ياجو ؟

ياجو : أكان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما ؟

عطيل : عرفه من مبدئه إلى نهايته . لم هذا السؤال ؟

ياجو : إرضاءً لفكري لا لشيء آخر ذي بال .

عطيل : وما فكرك ؟

ياجو : كنت لا أتخيل أنه يعرف ما دار بينكما .

عطيل : بلى وكان يتوسط بيننا أحياناً .

ياجو : أحقاً ؟

عطيل : أحقاً ؟ نعم حقاً . ما ترى تحت هذا ؟ أليس وفيّاً ؟

- ياجو : وفيّ يا مولاي .
 عطيل : وفيّ . بل وفيّ .
 ياجو : وفيّ يا سيدي إلى غاية ما أعلمه .
 عطيل : صرّح عما في ضميرك .
 ياجو : عما في ضميري يا مولاي ؟
 عطيل : عما في ضميري يا مولاي ، بالله إنه ليحبيبي كرجع الصدى كأن
 في طويته شيئاً أبشع من أن يكشف عنه النقاب .. تضرمر أمراً
 ولا تبديده . ولقد سمعتك تقول : « أفّ ما أحب هذا » عندما
 كان كاسيو يفارق امرأتي . ثم لما أخبرتك أنه كان مُطليعاً على
 أسرار غرامنا سبق لسانك فكرك وقلت : « أحقاً » ، ثم
 انقبضت أهداب عينيك وتضامت كحوافي الكيس كأنك
 أردت أن تحبّو في دماغك سرّاً رهيباً . إن كنت لي محبباً
 فكاشفني بما تضرمر .
 ياجو : مولاي تعلم أنني لك محبب .
 عطيل : أعتقد وذاك وبقدر ما أعرف من أنك مفعم ولاء ونزاهة وأنت
 تزيّن كلماتك قبل النطق بها فتوقفاتك في الحديث أشد موقفاً
 مني لأن أمثال هذه المحاذرات إنما تكون مراوغات مألوفة عند
 اللئيم الخبيث الكذوب كما أنها تكون عند الرجل الصالح
 مكاشفات مبرقة تخرج من صدر لم يملك تأثيره .
 ياجو : أجزؤ على الإقسام بأن ميشيل كاسيو وفيّ كما أعتقد .
 عطيل : وكذلك أعتقد .

ياجو : كان يجب أن يكون الناس كما تنبىء عنهم ظواهرهم . بل ليت
الذي خلقهم لم يجعل للمنافقين أشباهاً .

عطيل : يقين أن الرجال يجب أن يكونوا كما تنبىء عنهم ظواهرهم .

ياجو : ولهذا أظن أن كاسيو صادق الولاء .

عطيل : لا . عندك ههنا أكثر مما تبوح به . فرجائي أن تظهر لي خواطرك
كما تجيلها في خفائك وأن تلبس القبيحة منها أقبح الألفاظ .

ياجو : عفوك يا سيدي الكريم أنا مكلف كل عمل قويم تقتضيه الطاعة

ولكنني غير مكلف ما اعفي منه الأرفاء . إظهاراً لضمائري وقد

يكون منها ما هو دنيء ومنها ما هو زور ؟ .. أي قصد لا

تدخله بعض المكارة في بعض الآونة ؟ وهل في الناس من طهر

قلبه حتى لا تداخله الريب المستهجنة وتقع فيه أحياناً محاكمها

القانونية بجانب الأفكار النقية ؟

عطيل : ياجو إذا ظننت أن صديقك 'مهان' ولم تطلعه على ما في طويثتك

فأنت من المتآمرين عليه .

ياجو : قد يكون ظني إثماً وأقره بين يديك أن من طبيعتي الرديئة إساءة

الظن واختلاق خطاباً قد لا تكون... فأترضع اليك أن تصون

حكمتك عن الأخذ بمزاعم رجل كثير الخطل في تصوّره وأن لا

تبني صرحاً من الأوهام المزعجة على أساس غير متين من ملاحظاته

الناقصة فلا فائدة لك من جهة اطمئنانك وصفائك ولا لي من

حيث شرقي الرّجلي ونزاهتي وعقلي أن تطلع على خفايا فكري .

عطيل : ما مرادك من هذا ؟

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدي العزيز أثن جوهرة من
حلى النفس . من يسرق كيس نقودي يسرق شيئاً زريعاً كان لي
وأصبح له وكان قبلنا لألوف آخرين ، أما الذي يسرق حسن
سمعتي فمختلس شيئاً لا يغبنيه ويجعلني فقيراً جُهدَ الفقر .

عطيل : وايم السماء لأعرفن أفكارك .

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبي في يدك فهل تصل اليها وذلك القلب في
حراستي ؟

عطيل : آها .

ياجو : أي مولاي احذر الغيرة . تلك الخليفة الشوها ذات العيون
الخضراء التي تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس . الرجل الذي
يُثلم^(١) عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد ، سعيد
يجانب ذلك الذي يقضي الدقائق الجهنمية شغفاً ، إلا أنه
مستريب . عاشقاً أشدّ العشق ، ولكن تساوره الشكوك .

عطيل : يا للشقاء !

ياجو : الفقر مع القناعة غنى بلا جاء عريض . أما النعم التي لا تحصى
فتكون فقراً عقيماً 'عقم الشتاء البارد للذي يخشى أبدأ أن
يصبح معسراً . اللهم يا ذا المراحم أعف من الغيرة نفوس أمثالي .

عطيل : لمَ كل هذا ؟ أظن أنني سأعيش هذه العيشة مغيراً ظنوني كلما
تغير هلال . كلا . متى نَفَذَ الريب ثبتت النفس على حالة معه .
تبدل مني بتيس فظليع يوم أدع نفسي بين أيدي الشبه التي

(١) يثلم : يطمع .

تحدثها كل دسيسة . أنا لا تُستَفَزُ غيرتي بأن يُقال لي إن امرأتني جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحب المعاشرة وإنها طليقة النفس في أحاديثها وتغني وتلعب وتحسن الرقص . كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة . ثم إنني من جهة أخرى لا أخشى أدنى خشية منها ولا يخالجنني أيسر ظنٍ سميء بها من جهة أنني فاقد المحاسن لأنها إنما اختارتني ولها عينان مبصرتان نظرتني بها . لا لا ... وما أنا بمرتاب حتى أرى فإذا ارتبنتُ فحتمٌ أن أثبت مما يداخطني من الظنون وإذا وَصَحَ لي البرهان بعد ذلك فيومئذ فراقاً خالداً إما للحب وإما للغيرة .

ياجو : يسرني عزمك هذا بأنه يمكنني الآن من توكيد حبي لك وتجلتي . وعليه يقتضي الواجب أن أقدم اليك نصيحة - وبعدها يحىء وقت البرهان - راقب جيداً ما يكون من امرأتك ومن كاسيو ... استعمل عينيك من غير إساءة ظن ، إذ لا أحب أن تنخدع فطرتك الشريفة الحرة بسماحتها . أنا عليم بطبائع بلادي ، والنساء في البندقية يظهرن من أحوالهن على مشهد من الملأ ما لا يحرؤون أن يظهرنه لبعولتهن ، فالذمة عندهن لا أن يمتنعن عما يشتهين ولكن أن يخفينه .

عطيل : أجد ما تقول ؟

ياجو : غشت أباهما بتزويجها منك ولم تكن أشد هياماً بك منها حين كانت ترجف مهابة من نظراتك .

عطيل : هو حقيقة ما بدا لي منها .

ياجو : فعليك والحالة هذه أن تستمع القياس العقلي: إن التي استطاعت وهي في أنضر الصبا أن تخفي ما بها عن أبيها إخفاءً تركت معه عينيه أشد إقفالاً من لباب السنديانة ... التي غافلته حتى اتهم بها السحر ... صفحاً يا سيدي ... إني ملوم وإياك أستغفر عن قرط هذا الخلوص في ولائي لك .

عطيل : لن أنسى لك هذه المنّة مدى الدهر .

ياجو : ألمح أن كلماتي قد شغلت من بالك .

عطيل : البتّة ...

ياجو : بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته منها وإنما

أنفقت في اللولاء، لكن أراك واجماً فيتمعين عليّ أن ألتبس منك مما به من العيب ...

عطيل : سأفعل .

ياجو : إذا تماديت في التأويل يا سيدي أصابت أقوالي من المرمى ما لا احبه . إن كاسيو لصديقي . أي مولاي أراك مضطرباً .

عطيل : بعض الشيء . أعتمد أن ديدمونه عفيفة على كل حال .

ياجو : أطال الله بقاءها وهي كما تعتقد وأطال بقاءك على هذا الظن الحسن بها .

عطيل : غير أن الطبيعة قد تضل السبيل .

ياجو : وهذا هو محور المسألة وبناءً عليه أزداد جرأة معك فأقول إن في امرأة تأبى من يعرض عليها من الخطّاب المتعدين الذين هم

من بلادها ولونها ومقامها مع أن الطبع يدفعها إلى إثارة أمثالهم
لدليلاً على نفس فاسدة وميول غير متناسبة وأفكار غالفة
للفطرة. لكن ساعني فما أذكر هذا لأخصها به غير أنني أخشى
أن تراجعها نفسها مراجعة يتلخص فيها رأيها من أسباب الهيام
فتقابل بينها وبين أبناء موطنها فتندم .

عطيل : انصرف بسلام وإذا رأيت شيئاً بعد فزدني علماً ولتقرب امرأتك
ما يكون . اليك عني^(١) الآن .

ياجو : مولاي أستاذن . (يتظاهر بالانصراف)

عطيل : ما الذي حلني على الزواج ؟ هذا الإنسان الوفي يرى ويعلم بلا
مرء أكثر مما يُبدي .

ياجو (متراجعا) : مولاي أود لو أن ذاتك المبهجة لا تتعمق في تنقيب هذه
المسألة بل تدع ذلك للوقت ، إذ إن الوقت يُظهر الخبآت بأدق
مهارة. ومع ذلك إذا بدا لك أن تُبقي الرجل مقصياً إلى حين،
تسنّى أن تستبطن سرائره وتعرف وسائله . ثم انظر ما إذا
كانت امرأتك تلح لإرجاعه بشدة وحاسة. ففي هذه الأحوال
ما فيها من الأدلة . ومهما يكن مما أسلفته فاجعل أساس الرأي
أنني أفرطت في الحرص عليك إفراطاً هو من معايي ، هذا مع
التضرع إلى ذاتك المبهجة بأن تعتمد ما بريئة .

عطيل : ثقي أنني سأمتلك نفسي .

ياجو : أستاذن مرة ثانية . (ينصرف)

(١) اليك عني : إبتعد عني .

عطيل : هذا الفتى وفيّ في النهاية ويستكشف بفكر نير جميع الطوايا البشرية . لو كانت تلك المرأة بازيًا^(١) عالقة به ألياف قلبي قلبي لأطلقته وتركته تحت العواصف يبحث عن صيد يتصيد .
لعلها مالت إلى غيري لأنني أسود وليس في كلامي من الرقة والتزويق ما في كلام أولئك المتحدلقين المختلفين إلى القصور أو لأنني في أول مهبط السنين على كون هذا التقدم في السن لا يظهره شيء مني . لقد انفصلت عني وخدعتني ولم تبق لي تعزية إلا أن أبغضها - أواه من خيبة الزواج - أنتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلا على شهواتها ؟ لأوثر أن أكون صرصاراً يعيش من أبخرة السجّ على ترك جزء من الشيء الذي احبه لمتاع الآخرين . ولكن من ههنا تنبعث اللعنة التي يعيش فيها الكبراء فهم أسوأ حظاً من السوق ، كأن الإصابة بالعرض قد حُتمت عليهم تحتم الموت . ويلاه من ذلك الخطب الناطح بقرنيه الذي يُقدّر علينا منذ الميلاد . هذه ديدمونه آتية . لئن كانت غادرة لقد آمنت أن السماء تسخر من نفسها . لا . لا أعتقد فيها القدر .

(تعود ديدمونه وإميليا)

ديدمونه : بحياتك ماذا يجري أيها العزيز ؟ إن ضيوفك من أعيان الجزيرة لمنتظروك والغذاء مهيباً .

(١) الباز : طائر يصاد به .

- عطيل : عليّ الملام .
ديدمونه : ما بالك تتكلم بهذا الصوت الضعيف . أتشعر بألم ؟
عطيل : عندي ألم في الجبين هنا .
ديدمونه : هذا من فرط السهر ولكن سيزول حالاً . دَعْنِي أَعْصِبْ
رأسك بشدة وبعد ساعة تكون معافى .
عطيل : إن منديلك لأصفر من أن يعصبني (ينزع المنديل عن رأسه
فيسقط إلى الأرض ولا تتنبه له ديدمونه) "خلّ عنك هذا .
تقدّمِي وأنا متبع .
إميليا : بي حزن من ألمك (يخرج عطيل وديدمونه) إني فرحة بوجدان
هذا المنديل هو أول تذكّار أهداه المغربي اليها وزوجي الغريب
الأتوار قد لاطفني كثيراً وسألني أن أسرقه له . غير أنها تحب
هذه الهدية حباً جماً . لأن عطيلاً أوصاها 'مليحاً' بالاحتفاظ بها
أبدأً ، ولهذا هي تحملها بلا انقطاع وتقبلها وتحاطبها . سأستصنع
منديلاً على هذا المثال فأعطيهِ يا جو ليعمل به ما يشاء مما يعلمه الله
ولست أعلمه وغاية مرامي إنما هي إجابة سؤاله .
(يعود يا جو)
يا جو : ماذا وقوفك هنا منفردة ؟
إميليا : لا تعنّفني . عندي لك شيء ما .
يا جو : شيء لي . إنه لشيء نافع .
إميليا : أواه .
يا جو : شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء .

- إميليا : أهذا كل ما عندك ؟ ماذا تعطيني بدلاً من هذا المنديل ؟
- ياجو : أيُّ منديل ؟
- إميليا : أيُّ منديل !! ذلك الذي كان أول هدية من المغربي ليديمونه والذي طالما سألتني أن أختلسه .
- ياجو : أسرقته ؟
- إميليا : لا وإنما سقط منها سهواً بحضوري فالتقطته وها هو ذا . انظر .
- ياجو : نَعَمْ البَنِيَّةُ أَنْتِ ! أعطيني إياه .
- إميليا : ما تتوي فعله به وقد ألححت عليّ ذلك الإلحاح باختلاسه ؟
- ياجو (مختطفاً منها المنديل) : أيعنيك هذا ؟
- إميليا : إذا لم يكن منه مقصد ذو بال فأعده إليّ فإنّ تلك السيدة المسكينة سيصيبها مَسٌّ إذا فقدته فلم تجده .
- ياجو : إحدري أن يُظنَّ بكِ وأنا في حاجة اليه . اذهبي ودعيني (تخرج إميليا) سأطرح هذا المنديل في مسكن كاسيو بحيث يحده . أمثال هذا الشيء النافه أفعُلُ في الغيور من تحقيقات الكتب المقدسة وربما جرّ هذا المنديل أمراً . المغربي آخذ بالتغير من تأثير سَمِّي ، على أن العقاقير الخطرة هي بطبيعتها سَمٌّ أول طعمها غير كريه ، ولكن متى ابتدأ فعلها في الدم أحرقت إحراق مناجم الكبريت ... ها هو ذا قادم ، لا الخشخاش ولا غيره من المرققات القوية يُعيد اليك بعد الآن المنام الهاديء الذي كنت تنامه أمس . (يعود عطيل)
- عطيل : أها أها ، أجدّها تواريني .

ياجو : حسبك يا سيدي لا تفكر في هذا بعد .
عطيل : وراء . اليك عني . لقد مددتني على 'خشب التعذيب . أقسمت
إنه خير للإنسان أن 'يخدع كثيراً من أن يعلم بخديعته قليلاً .
ياجو : ما بك يا مولاي ؟

عطيل : أي 'إحساس كان يخامرني في تلك الساعات الغرامية التي خالست
بها النعم . لم أكن لأظن هذه الظنة ولا لأخطرها على بالي
و كنت لا أتألم . في الليلة المنصرمة نمت مستقراً وبفرح وسكينة
وفكر ، ولم أستكشف على شفتيها 'قبل كاسيو . لا ينبغي إبلاغ
الذي 'سرق له شيء أنه 'سرق فإذا لم يفتقده فكأنه لم يختلس
منه شيء البتة .

ياجو : يحزنني ما أسمع .
عطيل : لكان يسرني أن يتمتع الجنود كلهم ومعهم أعوانهم الصبيان
يحسها الرقيق على أن لا أعلم . أما الآن ففراقاً أبدياً لراحة
النفس . فراقاً للسرور . فراقاً للكتائب التي تزدهي 'خودها
بالريش الناصع . وللهروب الكبيرة التي تجعل الطمع فضيلة .
أواه . فراقاً للخيل الصاهلة وللوق العزاف وللطبل الذي يشبه
حرارة النفس وللمزمار الذي يصفر في الأذن وللرايات الملكية
ولسائر الأشياء التي تنجم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخر
الحربية .

وأنت أيتها الآلات المهلكة التي تحاكي بالإرغادات الحماجة
من أفواها الهدارة صبحات النشور . وداعاً وداعاً ، إن حياة
عطيل قد انتهت .

ياجو : أهذا ممكن يا مولاي ؟
 عطيل : أيها النام الواشي جئني بما يثبت أن حبيبي مومس... لا تبطىء..
 أرني بعيني وإلا (يقبض على عنقه) حلفت بقيمة النفس الخالدة
 ليكون " خيراً لك أن تكون مخلوقاً كلباً من أن تلقى هبة
 رجزي ^(١) .

ياجو : أوصلت الامور إلى هذا الحد ؟
 عطيل : أرني بعيني أو أيتد لي برهانك بحيث لا يفوتك ذكر جزئية أو
 حالة مما يعلق به الريب وإلا فتبتاً لحياتك .

ياجو : أي مولاي الشريف .
 عطيل : إن كنت قد فعلت لتسيء ظني بها وتعذبني فلا 'تصل' بعد الآن
 بتاتاً . اخرج عن إنسانيتك بالمرة . راكِم فظائع فوق فظائع .
 إرتكب جرائم تبكي منها السماء وتقضي لها الأرض عجباً لأنك
 لا تستزيد في يوم الله شيئاً على ما ستناله من العقاب الذي يفوق
 كل هذا .

ياجو : يا لرحمة الله . يا للسماء ساحيني . هل أنت رجل ؟ هل لك نفس
 أو إحساس ؟ أعانك الله . أقبلني من خدمتي . ونجني من حقير
 أبله جعل وفاءه ذنباً له . ويل لهذه الدنيا الخؤون . اعلمي
 اعلمي يا دنيا ما أخيب الأمانة ، وما أغدر الاستقامة . حمداً

(١) الرجز : داء يصيب الابل في أعجازها فإذا ثارت ارتعدت أفخاذها ثم
 انبسطت .

لك على هذه العظة وأبى الله بعدها أن احب حبيباً ما دام الولاء
جلاًباً لمثل هذه المهانات .

عطيل : لا ، أقم ، كان يجب أن تكون وفيّاً .
ياجو : كان يجب أن أكون حكيماً لأن الأمانة حمقاء ومضّعة
للمثوبات ^(١) .

عطيل : والعالمين إنني لأعتقد طهارة امرأتى ثم لأعتقد أنها غير طاهرة .
بل أظن أنك صادق ثم أظن أنك غير صادق ، لا بد لي من
برهان ، إن اسمها كان أنصع من وجه ديانا فأصبح الآن أقم
أسود كوجهي . لئن كان في الدنيا حبال . خناجر . سموم .
نار . أنهار تُغرق فلست بمحتمل هذا . ما أظمأني إلى ترضية
لنفسي .

ياجو : أجد يا سيدي أن الغرام يَغُولك ^(٢) وأندم على ما ألحقته بك
من الأذى . أفتريد البرهان ؟

عطيل : أأريد ؟ نعم أريد .

ياجو : ذلك اليك . ولكن كيف تريد أن أجيبك بهذه الترضية يا
سيدي ؟ أتبتغي مني شاهداً يقف جامداً مفتوح الفم يتفرّس
فيها وهي مع الرجل ؟

عطيل : موت وهلاك . أو اه .

(١) المثوبات : الجزاء على الأعمال خيرها وشرها .

(٢) يغول : يهلك ، يأخذه من حيث لا يدري .

ياجو : يصعب علينا فيما أظن أن نحتال عليها بحيث يؤخذان على هذا الشكل ، بل من المستحيل أن يراها على فراش واحد غير الشيطان . وعلى هذا ... فما تكون القرضية حيث لا يحتمل أن يظهر لأحد بهذا المظهر ولو كانا أفسق من تينسين وأحمى من قردين وأشد قحّة في البهيمية من ذئبين وأقل احتراساً وحذاراً من غبيين مخورين . أما إذا كان الاستنتاج من وقائع واضحة الدلالة موصلة إلى أبواب الحقيقة كافياً لما تشاء من القرضية فالقرضية بين يديك .

عطيل : أعطني برهاناً حسيّاً أنها زانية .

ياجو : 'قُبِّحَتْ' من خدمة . ولكن بما انني جرّيتُ هذا الشوط البعيد في المكاشفة مندفعاً بدافع الجنون الذي ابتلنتني به الصداقة والذاهة فإنني لأزيدك بياناً : كنت بائناً منذ ليالٍ مع كاسيو وبي ألم في الأسنان أرقني لشدة فلما انقضى الهزيع الأول تبينت أن كاسيو يرى حلاً . ومن الناس أفراد خلقت نفوسهم على غير الكتان فيذكرون شؤونهم في منامهم ... ومنهم صاحبي . سمعته يقول وهو مستغرق في رؤياه : « حبيبتي الجميلة ديدمونه لنكن حذرين ولنخف غرامنا » ... وحينئذ يا سيدي أمسك بيدي يشدها ويصيح : « يا لك من حسناء شهية » ثم طفق يلثمني بقوة كأنه كان يود أن يقتلع القُبْلَ النابتة على شفتيها من اصولها ، ثم ألقى بساقه على فخذي وتنهّد واعتنقني ثم صاح : « لمن الله الحظ الذي وهبك للمغربي » .

- عطيل : فطيع فطيع ...
- ياجو : لم يكن إلا حلماً ...
- عطيل : بلى ولكنه جاء دليلاً على شيء تمّ سابقاً ، وإنه لدليل قاطع على كونه مناماً .
- ياجو : وبه تتعزز البراهين السالفة التي تظهر واهية .
- عطيل : سأمزقها تمزيقاً .
- ياجو : بلا ريب ، ولكن كن متشداً إذ أننا لم نرَ بعد أمراً تمّ وقد تكون عفيفة . بقي أن تقول لي شيئاً ذا بال . ألم ترَ قط في يد امرأتك منديلاً عليه رسم الشليك ؟
- عطيل : أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديته إليها .
- ياجو : أول ما أهديته إليها أو آخره لا أعلم . غير أنني رأيت منديلاً من هذا الشكل — وأعتقد أنه لها — بيد كاسيو وكان يمسح به لحيته في هذا الصباح .
- عطيل : إن كان هو منديلي ...
- ياجو : إن كان هو الذي تعنيه أو آخر ما تملكه ففيه ما ينطق بذنبها تعزيراً لما تقدّم من البراهين .
- عطيل : ويلاه . علام لا يكون لذلك الشحاذ أربعون ألفاً من الأعمار . إن عمراً واحداً دون الكفاية لانتقامي . الآن تبينت أنها في الحق زانية ... انظر يا ياجو ، هذه نفخة اصعد بها إلى السماء ذلك الغرام الناري ، لقد ذهب . يا أيها الانتقام المدلهم ارتفع من أعماق جهنم ، ويا أيها الحب تنازل لاستبداد الغضب عن

تاجك وعرش قلبي ، ويا أيها الصدر ارضحْ تحتِ حملك فإنا
حملك من ألسنة الأفاعي .

ياجو : لا بدّ لك من التمالك .

عطيل : دماً دماً دماً .

ياجو : تحمّل ، تجلّد ، وربما تغيّر شعورك .

عطيل : لن يتغير ... أعرفت كيف تجري التيارات القارسة الجاحية من

مبعثها في بحر البُنط ^(١) إلى مستقرّها في بحر الظلمات لا يردّها

الجزر بل تنطلق إلى غايتها في منهاج قويم ، كذلك عزائي

النضاجة بالدماء قد اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى

الوراء ، لن تعود إلى حَيّ ذلك الغرام الوديع ، بل تستمر في

سيرها حتى تغور جميعها في انتقام عظيم على قدر الإهانة . الآن

وَجَبَّ عليّ بحق تلك السماء المرمرية التي أراها هناك ان أثبت

وعيدي بحيث أجعل تحقيقه خروجاً من يمين مقدسة . (يبحو)

ياجو : لا تنهض (يبحو أيضاً) اشهدي أيتها الأنوار التي تتأجج في علـ

سرمداً وأنتِ أيتها العناصر المحيطة بنا من كل جانب ، اشهدي

أن ياجو يستخدم لإنصاف عطيل مما لحق به من العار عقله

وقلبه ويده ، ليأمر عطيل ومهما يكن ما يكلفني إياه دمويّاً

موبقاً فإنني لفاعله بعقيدة أنه فعِلُ وفاء ورحمة .

عطيل : أتلقي هذا العهد الودّي منك لا بكلمات شكر فارغة بل بقبول

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود .

حسن من قلبي . وإني لختبر قَسَمَك حالا . أخبرني إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو قَتِل .

يا جو : لقد هلك صاحبي وهو أمر مقضيّ ببناءً على إشارتك ، ولكن لِنَتَعِشْ هي .

عطيل : لتفترسها النار ، تلك البغي الخبيثة . لتفترسها النار . تعالَ معي إلى مكان تنفرد فيه لأبحث عن ميتة سريعة لتلك الجنّة الجميلة . كن ملازمي منذ الساعة .

المشهد الرابع

تجاه القصر

(تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك)

ديدمونه : أتعلم يا هُزأة أين مسكن كاسيو ؟

المضحك : لا أجسر أن أقول إن له مسكناً .

ديدمونه : لمَ أيها الصاحب ؟

المضحك : لأنه عسكري ومن قال لعسكري إن له مسكناً تعرّض لخنجره .

ديدمونه : غريب ! وأين يقيم ؟

المضحك : لو أخبرتك أين يقيم لأخبرتك أين أكذب .

ديدمونه : أيمن تصيّد معنىً من هذه الكلمات ؟

المضحك: لا أعلم أين يقطن فإذا اخترعت له مسكناً عدَدْتُ ذلك افتراءً خارجاً من حلقي .

ديدمونه: أتستطيع السؤال عنه ومعرفة ؟

المضحك: سأذهب بشيراً ونذيراً في شأنه بمعنى أنني سألقي أسئلة على الناس . ثم اجيبك بما يقولون .

ديدمونه: إبحث عنه ، 'مرّة' أنت يحضر ، قل له إنني شفعت فيه لدى مولاي وأرجو أن تقضي حاجته .

المضحك: فعلُ هذا بما قد يسمعه عقل الإنسان ولهذا سأحاوله . (يخرج)
ديدمونه: أين تظنين أنني فقدتُ هذا المندبل يا إمبليا ؟

إمبليا : لا أدري يا سيدتي .

ديدمونه: كان أهوان عليّ أن أفقد كيس نقودي ملآن قطعاً ذهبية من فقده ، لأنه لم يكن سيدي الشريف عادل الضمير خلياً من دناءات الغيرة لكان ذلك مما يثير عنده الظنون السيئة .

إمبليا : أليس غيوراً ؟

ديدمونه: مَنْ ؟.. هو ؟.. أظن الشمس التي 'ولد تحتها أجفّت عنه أمثال هذه الوبالات .

إمبليا : انظري . ها هو ذا مقبل .

ديدمونه: سأعيد الكرة عليه الآن ولست 'أركه حتى يصفح عن كاسيو . (يدخل عطيل)

ديدمونه: كيف حالك يا سيدي ؟

عطيل : على المرام يا سيدتي الكريمة . ما أصعب المראה . وكيف أنتِ يا ديدمونه ؟

- ديدمونه : كما تحب يا سيدي .
- عطيل : هاتي يدك . هذه اليد نضيرة يا سيدي .
- ديدمونه : لم تشعر بعدُ بالسنين ولا بالحزن .
- عطيل : تدل على قلب غني وسمح . يدك دافئة . دافئة ونضيرة . ما أحوجها إلى الحب في دير الصيام والصلاة وضروب كثيرة من أعمال التوبة والتقوى ذلك لأن هناك شيطاناً فتياً سريع العرق قريب الثوران . إنها ليدٌ طيبة وحررة .
- ديدمونه : يحق لك تقريظها لأنها هي التي أعطتك قلبي .
- عطيل : أكرم بها من يد . قبلاً كانت القلوب تعطي الأيدي أما الاصطلاح الحادث الآن فإن تعطي الأيدي القلوب .
- ديدمونه : لا كلام عندي في هذا المعنى فلأسألك عما أنت فاعل بوعدك .
- عطيل : أيُّ وعد يا دجاجتي ؟
- ديدمونه : أرسلت أستدعي كاسيو للقائك .
- عطيل : بي زكام عنيف ثقیل يزعجني . أعيريني منديلك .
- ديدمونه : ها هو ذا يا سيدي .
- عطيل : أريد الذي أهديته اليك .
- ديدمونه : ليس معي .
- عطيل : لا ...
- ديدمونه : لا يا سيدي .
- عطيل : هذه غلطة . إن ذلك المنديل وهبته امرأة مصرية لأمي وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرف ضمائر الناس . قالت لأمي وهي

تدفعه اليها : إنه يجعلها محبوبة ، ويخضع لها غرام أبي ما دامت محتفظة به . فإذا فقدته أو أهدته فعين أبي تنصرف عنها انصراف بغضاء ، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها . ولما حضرت أمي الوفاة أعطتني وأوصتني إن تزوجت أن أمنحه لخليتي وهكذا فعلت . فأرغب اليك في استبقائه وضيافته وأن تحببه كحديقة العين الثمينة لأنه إذا فقد كان فقدته خسارة لا تستعاض.

ديدمونه : أيعقل هذا ؟

عطيل : بل هو الحقيقة لأن في نسيجه سحراً وما نسجته إلا عرافة شهدت دوران الشمس مثني مرة . أما الديدان التي أخرجت حريره فقد كانت مرقية أيضاً . وأما الحرير فقد صبغ بمصير الموميات مستقطراً من قلوب العذارى ومصوناً بعناية العلماء .

ديدمونه : أهذا صحيح ؟

عطيل : غاية في الصحة وعليه أوصيك بالحرص كل الحرص على ذلك المنديل .

ديدمونه : إن كان ما ذكرت فليتني لم أره قط .

عطيل : لماذا ؟

ديدمونه : ما بالك تتكلم هكذا بمجلة ووجيف^(١) .

عطيل : أفقد ؟ أأضعت ؟

ديدمونه : رعانا الله .

عطيل : ما ردك ؟ !

(١) وجيف : ارتجاف مع انقباض .

- ديدمونه : لم أضلّيه ولكن لو حدث ذلك ...
- عطيل : كيف تقولين ؟!
- ديدمونه : أقول لم يضع .
- عطيل : جيئني به الآن فأراه .
- ديدمونه : سأفعل يا سيدي ولكن بعد الآن . إنما هي حيلة ابتدعتها لعدم إحابة التماسي . أكرر توسلي اليك يا سيدي أن تغفر لكاسيو .
- عطيل : اذهبي وأحضري لي المنديل — تاه فكري .
- ديدمونه : دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً أكفأ منه .
- عطيل : المنديل ...
- ديدمونه : رحل وقف سمعه من أول عمره على صداقته لك وشاط .
- الأخطار ...
- عطيل : المنديل ...
- ديدمونه : حقيقة إنك لتلام .
- عطيل : إلى الراء .
- (يخرج)
- إميليا : أليس هذا الرجل غيوراً ؟
- ديدمونه : لم أرَ فيه قبل الآن شيئاً من مثل هذا . لا بد أن يكون في ذلك المنديل سر عجيب وإنني لشقية بأنني فقدته .
- إميليا : جرت العادة أن يكون الرجال بعد سنة أو سنتين من الزواج كما هو الآن . إنهم جميعاً إلا ميمد وإن نحن جميعاً إلا غداء يا كلوننا بنهم فإذا امتلأوا تقايؤونا . أنظري هذا كاسيو وزوجي ...
- (يدخل كاسيو وياجو)

ياجوو : لا وسيلة غيرها وهي وحدها التي يجب أن تنقذك . ما أسعد
طالعك ها هي ذي . إذهب إليها وألحف .

ديدمونه : واهأ با صديقي كاسيو ما عندك من النبأ عن شأذك ؟
كاسيو : أنا لا أزال على التماسي الأول يا سيدتي ، أبتهل اليك أن تشفعني
بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش وأعود إلى صداقة الرجل الذي
أجلته كل الإجلال . ثم بودتي أن أعرف مصري معه في أقرب
وقت ، فإذا كانت هفوتي من الهفوات التي لا تغتفرها لي خدمي
السابقة وندامتني الحاضرة وإخلاصي الذي أنوبه للمستقبل
فليكن آخر إحسان منك أن تشعريني بذلك فأقبل بما قسم لي
على كُره مني وأختط لنفسي خطة أخرى تاركاً مآلي بين
أيدي الأقدار ...

ديدمونه : أواه أيها الرجل النبيل كل النبيل إن توسلاتي لم تجد إلى الآن وقد
تنكر عليّ مولاي منذ هنية حتى كان غير ما أعده . ولو تغير
وجهه كما تغير 'خلقه' لما عرفته - ليت الأرواح العلوية مسعداتي
بقدر ما شفعت لك عنده فلقد أصرت وكررت حتى انتهيت
إلى شفا كدره . فلا بد لك من التجلد وسأفعل لأجلك أكثر مما
أجسر على فعله لأجل نفسي فليكلفك هذا .

ياجوو : أمولاي غضبان ؟
ديدمونه : قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب في اضطراب غريب .
ياجوو : لم أعده يغضب . رأيت المدفع يطير بكتائبه مبعثرة في الهواء
يهجم هجمة الشيطان وينقذ أخاه بيده ... ثم هو الآن يغضب .

لا بدّ من أمر ذي بال . سأذهب للقائه . إنه إذا حنّ فليسبب
خطير .

ديدمونه : إفعل بتوسّل مني (يخرج ياجو) لا بدّ أن يكون هناك معضلة
من معضلات الحكومة أو أمر وفدّ من البندقية أو مؤامرة علم
بتدبيرها في قبرس قد غشت عليه صفاء فكره . وفي أمثال
هذه الأحوال تضطر النفوس الكبيرة الغايات أن تشتغل بالهناات
الصغائر . مثلنا بذلك كمثل الذي تؤلمه إصبعه فيجد شعور الألم
في سائر جوارحه السليمة . على أن الرجال ليسوا بألهة وما علينا
أن نكلهم على الدوام مجاملتنا كما يفعلون أيام العرس . عنفني
بشدة يا إميليا لأنني كنت شارعة في التظلم من قسوته لدى محكمة
ضميري ، أما الآن فأرى أنني رَشَوْتُ الشاهد وأنتي أُلقيت
التهمة بغير صواب .

إميليا : لنضرعُ إلى الله أن يكون ما به أمراً من أمور الحكومة كما
فكرتِ لا جنة من جنّات الغيرة .

ديدمونه : ويحي لم أفعل قط ما يستفزّ غيرته .

إميليا : غير أن النفوس الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تجيشها في الغالب
نوباتها عن سبب بل تغار لأنها تغار وما الغيرة إلا بهيمة شاذة تلعق
من نفسها وتتولد من نفسها .

ديدمونه : وقى الله قلب عطيل من تلك البهيمة .

إميليا : آمين يا سيدي .

ديدمونه : سأذهب لأستقدمه . كاسيو تنزّه قليلاً بقرب هذا المكان فإذا

وجدته في ساعة رضى دافعت عنك وبذلت مجهودي في كسب
دعواك .

كاسيو : أشكر مرحمتك بكل خضوع . (تخرج ديدمونه وإميليا)
(تدخل بينكا)

بينكا : حيثك الله ورعاك يا كاسيو .

كاسيو : ما تصنعين خارج البيت ؟ كيف حالك يا عزيزتي الجميلة جداً ؟
تالله لقد كنت على عزم التوجه إليك ...

بينكا : أنا كنت ذاهبة إلى منزلك . أيمضي اسبوع ولا تزور ؟ سبعة أيام
وسبع ليال ، مائة وثمان وستون ساعة . على حين أن ساعات
هجر العشيق أشد تبريحاً من ساعات التوقيت بمائة وستين مرة .
يا لله ما أقبحها سأمًا وضجراً .

كاسيو : ساحبني يا بينكا ، فكيف بها أقصاني عنك في هذه الأيام كلها ...
ولكنني سأعوض ما فات بها هو آت . أي عزيزتي الكريمة بينكا ،
انسخي لي مثلاً من هذا المنديل .

بينكا : من أين جاءك هذا يا كاسيو ؟ لا بد أنه هدية من صديقة جديدة ...
لقد فهمت سبب ذلك الجفاء . سنرى سنرى .

كاسيو : تخططين يا امرأة . ألقِ بظنونك البشعة في وجه الشيطان الذي
أوحاها إليك . أتغيرين من تخمينك أن لي رفيقة جديدة .
كذبك وهك وعهد الوفاء .

بينكا : إذن من أين جاء هذا ؟

كاسيو : لا أعلم ، وجدته في غرفتي وأحببت صنعه كثيراً ، لذلك سألتك

صنع غيره على مثاله قبل أن يطلبه أربابه ، أرجو منك وأتوسل
إليك أن تنقلي لي هذا المثال . والآن دعيني .

بينكا : لماذا أدعك ؟

كاسيو : أتوقب القائد هنا وليس من مصلحتي ولا أمنيقي أن يراني مع
امرأة .

بينكا : ولم هذا التحاشي ؟

كاسيو : ليس من عدم الحب .

بينكا : بل من كونك لا تحب « إياي » . تكرّم علي واصحبني قليلاً

وأجبنني : أتورني الليلة أم لا ؟

كاسيو : لا أستطيع مرافقتك إلا بعض الخطى إذ لا يحيص لي من انتظار
القائد هنا . لكن سأراك قريباً .

بينكا : لا بأس ، إني أدع التشديد الآن مراعاةً للحالة . (يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

قبرس - أمام القصر

(يدخل عطيل وياجو)

- ياجو : أيداخلك مثل هذا الظن ؟
عطيل : مثل هذا الظن ؟
ياجو : لأجل قبلة اختلِستْ على انفراد .
عطيل : قبلة غير جائزة ...
ياجو : أو لأجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب في سرير واحد .
عطيل : أيعمرَيان ويدخلان السرير بدون قصد أثم . ياجو هذه مداجاة^(١) للشيطان . إن الذين يخلون هذه الخلوة لو طهرت نياتهم لامتنعهم إبليس وامتنعوا الله .

(١) مداجاة : مراعاة .

ياجو : إذا لم يفعلوا شيئاً فهي هفوة عرضية ، أما إذا أعطيت امرأتى منديلاً

عطيل : فما يكون ؟

ياجو : يكون عندئذ ملكاً لها ولها فيما أعتقد أن تمنحه لمن تشاء .

عطيل : هي أيضاً أمينة على عرضها أستطيع أن تهبه ؟

ياجو : عرضها لا يُرى ، وكثيراً ما يحدث أن الذين لا عرض لهم هم بالذات أصحاب العرض . أما المنديل ...

عطيل : بالله العظيم لقد كنت أودّه لو أنساه ... أتمم جلتك ... لكن ذكره يعود إلى رأسي كما يعود إلى البيت المتداعي غراب البين ينق بالويلات ... كنت تقول إن المنديل وجد معه ؟!

ياجو : فدلّيل أي شيء هو ؟

عطيل : كيفما كانت دلّالته فما هي بالشيء النظيف .

ياجو : إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أنني رأيتك يسلب عرضك أو أنني سمعته يقول كيت وكيت كما يفعل بعض الشذاذ الذين إذا قضوا لبانتهم من معشوقتهم سواء بالحافاتهم المزعجة أم بتشخيصاتهم المؤثرة ، لم يملكوا الكتمان .

عطيل : وما الذي قاله ؟

ياجو : إنه ... فعل ما لست أتذكر ...

عطيل : أي شيء أي شيء ؟؟

ياجو : إنه مات ...

عطيل : معها ؟

- ياجو : معها ... بقرها ... كما تشاء !
- عطيل : معها ... بقرها ... خطب رائع . المنديل ... الاقرارات ...
 المنديل ... ليعترف ثم ليشنقُ جزاءً وفاقاً بل ليشنق أولاً ثم
 ليعترف ... أرتجف لمجرد تصوري تلك الحيازة . ولولا أنها
 وقعت وأسرتها إلى الطبيعة لما بلغ الاضطراب مني هذا المبلغ .
 ليس الذي يقلبني عالياً إلى سافل كلمات فقط ... لعنة الله
 عليهما ... أنفاهما ... آذانها ... شفاهها ... أفي التصور ما
 كان ... ليعترف - المنديل - يا للشيطان . (يغمى عليه)
- ياجو : فملك يا طيبي فعلك . الحق المتصدقون يؤخذون هكذا . وهكذا
 تقع السعاية على كثيرات من الخواتين^(١) العفيفات - صحواً
 سيدي ... سيدي ... صحواً عطيل . (يدخل كاسيو)
- ياجو : كاسيو ؟ !
- كاسيو : ما أرى ؟
- ياجو : أغمي على مولاي ... أمس مرة وهذه الثانية .
- كاسيو : أفرك صدغيه .
- ياجو : لا ... قف ... لا ينبغي تحريكه في الإغماء وإلا أزيد فيه
 وهباً هبة جنون وحشي ... أنظر . يضطرب ... تغيب
 قليلاً . سيرجع إلى حسه وعندما ينصرف أريد أن أفاوضك في
 أمر ذي بال (يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح
 في رأسك ؟

(١) الخواتين : النساء الشريفات .

عطيل : تسخر مني ؟
ياجو : أنا أسخر منك ؟ لا والسماء ... عساك أن تتحمل قسمتك تحمل
الرجال .

عطيل : رجل ذو قرنن لا يكون إلا خلقاً مخطأً أو حيواناً .
ياجو : يوجد إذن في مدينة مأهولة كثير من الخلائق المخطأة . وكثير من
البهائم في زي الحضارة .

عطيل : هل أقرّ بما فعل ؟
ياجو : سيدي الكريم كن رجلاً ، تصور أن كل ذي لحية مشدودة إلى
امرأة تستطيع أن يحمل حملك . من الناس في هذه الساعة ألوف
ألوف يبيتون ليلهم في مضاجع قاسمتهم إياها الجماهير ويزعمون
أنها لهم خاصة أما أنت فمحظك ما زال أصلح من حظوظ
هؤلاء ... لكن أجد من جهة أخرى أن من سخرات جهنم
ومبالغات الرجيم في الرزايا عناقلك لامرأة فاسقة في فراش
شرعي وتحسبها طاهرة ... لا ... خير لك ثم خير لك أن
تعرف كل شيء فإنني متى عرفت ما أنا عرفت أيضاً مصيري .
عطيل : أنت عاقل بلا مرأى .

ياجو : إلزم السكينة قليلاً واكتفِ بالإصغاء متجهداً أسمعك برهاناً
جديداً ... جاء كاسيو إذ كان مغمى عليك من الألم ، وهو ما
لا يليق برجل مثلك ، فأبعدته معتذراً بعلتتك وأوصيته أن
يعود لمخاطبتي بعد هنيهة . فالتمس لك هنا مكاناً تجثم فيه والمج
إشارات الجزء والاحتقار التي تبدو على وجهه حين اكلمه عنها ،

وسأحتال عليه بحيث يقصُّ عليَّ قصته مع امرأتك ويقول أين ، وكيف ، ومتى ، وكَم مرة اجتمع بها أو ينوي أن يجتمع ؟ تنبّه . وحسبُك أن ترقب حركاته . يا لله . صبراً وإلا شهدت أنك الهزّة مشخّصة برأس وقدمين وأن لا شيء فيك من الرجل .

عطيل : إسمع يا ياجو ستري أنني جليد كل الجسد ولكن اعلم أيضاً أنني سفاح في الغاية .

ياجو : مهما تقتل لا تدرك حق ثأرك ، غير أنه يحسنُ عمل كل شيء في ميقاته . أتريد أن تتواري ؟ (يختبئ عطيل) الآن سأسأل كاسيو عن بينكا العاهرة التي تبسّع محاسنها وتشتري خبزاً وملابس . هذه الفاجرة مجنونة بكاسيو لأنه من مصائب البقيات أن يخدعن ألوفاً ويخدعن واحد . فحق سمع ذكرها لم يملك أن يضحك حق يشترق ... أراه قصادماً ومتى تبسم أصبح عطيل مجنوناً وأوتلت غيرته الفاحشة كل رمز يرمزه من تبسم وإشارة أسوأ تأويل على المسكين كاسيو . (يدخل كاسيو)

ياجو : كيف أنت الآن أيها الملازم ؟
كاسيو : كما يكون القتيل ، وإنني لقتيل بفقدني اللقب الذي تلقبني به .
ياجو : أصررُ على الناس الشفاعة من ديدمونه وثق بالنجاح (بصوت خافت) أما لو كانت أمينتك عاقلة برداء بينكا لتحققت سريعاً .

كاسيو : مسكينة تلك الإنسانية .
عطيل : (في مكانه) انظر كيف طفق يضحك !
ياجو : لم أرَ قط امرأة تحب رجلاً هذا الحب .

- كاسيو : ويحيا من خاطئة أظن على ذمتي أنها تعجبني .
- عطيل : (في مكانه) ها هو ذا ينكر الجريمة بتراخٍ لكن يضعك
لذكرها كثيراً .
- ياجو : أسمع يا كاسيو ؟
- عطيل : (في مكانه) إنه الآن يخرج ليحمله على الإخبار . أحسنت
أحسنت .
- ياجو : تشيع أنك ستقترن بها . أهذه أمينتك ؟
- كاسيو : ها ها ها ...
- عطيل : (في مكانه) أفائز أيا الروماني أفائز ؟
- كاسيو : أنا أقترن بها . بموس . هب عقلي شيئاً من حسن ظنك ولا يكن
رأبك هذا الرأي العفّين . ها ها ها .
- عطيل : (في مكانه) كذا كذا الظافرون يضحكون .
- ياجو : بذمتي إن إشاعة زواجكما متناقلة .
- كاسيو : بحياتك قل لي الحقيقة .
- ياجو : إن لم يكن قولي الحقيقة فلا كنت إلا محض مجرم مزور .
- عطيل : (في مكانه) طبع السمة على جبتي لا بأس .
- كاسيو : إن هي إلا إشاعة صادرة عن تلك الوقعة تظن أنني أتاها
عن زهو وخيلاء منها لا عن وعد مني .
- عطيل : (في مكانه) ياجو يشير إليّ ... سيبدأ القصة .
- كاسيو : كانت هنا من هنية ودأبها أن تدركني في كل مكان .
ومن جنونها أنها لحقت بي إلى شاطئ البحر منذ أيام وكنت

أحداث بعض البندقيين فجاءت وطوقت عنقي هكذا
عطيل : (في مكانه) وهي تصيح : « يا حبيبي كاسيو » . أآه
يقوله لفصاحة إشارته .

كاسيو : علقت بعنقي وأخذت تترجح وتبكي وتدفعني وتجد
ها ها .

عطيل : (في مكانه) يخبره كيف أدخلته غرفتها . آه إني أرى
لا بل أرى الكلب الذي سألقيه إليه .

كاسيو : لا بد لي من مقاطعتها .

ياجو : ليس بحضوري ... التفت تجدها مقبلة .

كاسيو : هذه مفتوتتي يسطع عطرها إلى هذا المكان . (تدن

كاسيو : ما مرادك من مطاردي هكذا ؟

بينكا : طاردك الشيطان وأثناء ما كان مقصدك من هذا الم

دفعته إليّ منذ قليل . غلبت عليّ الغفلة فصدقت أنا

رسمة . أمن المعقول أن تجد مثل هذا الشيء الثمين

من غير أن يكون أحد قد تركه ، هذا بلا شك هدية

ما ، وأنا أكلف تصوير مثله . أبى الله أن أفعل . -

عشقتك . أيا يكن مأناه فلن أنقله .

كاسيو : ماذا جرى يا صفتي بينكا ماذا جرى ؟

عطيل : (في مكانه) يا لله لا بد أن يكون هذا منديلي .

بينكا : إذا أردت أن تنجيء لتناول العشاء الليلة فأهلا وإلا

تشاء ... (تنخر)

- ياجو : اعدُ وراءها أدركها .
- كاسيو : لا بد لي من ذلك أو تملأ الطرق صياحاً .
- ياجو : أتتعشى هناك ؟
- كاسيو : هذا إزماعي .
- ياجو : لعلي ألحق بك إذ انني في حاجة لمفاوضتك .
- كاسيو : تعالَ ولك الفضل . أتجيء ؟
- ياجو : كفاية لا تزِدْ . (يخرج كاسيو)
- عطيل : (في مكنه) أية قِتلة أقتله ؟ أَسِرْ .
- ياجو : أرأيت كيف كان يضحك من جريمته ؟
- عطيل : ياجو ياجو .
- ياجو : وهل رأيت المنديل ؟
- عطيل : أكان مندبلي ؟
- ياجو : مندبلك قَسَمًا بيدي ، ومن الغريب أن تكون هذه عنده قيمة امرأتك المجنونة التي تعطيه مندبلا ويعطيه بغيًا .
- عطيل : أتمنى لو مكثت تسع سنين أقتله - امرأة جميلة ، امرأة رشيقة ، امرأة أنيسة .
- ياجو : لا بد لك من نسيان كل هذا .
- عطيل : نعم ولتذهب إلى حيث تقضي ولتهلك جسمًا ونفسًا في هذه الليلة ... لن تعيش ... لا ... إن قلبي قد تحول إلى حجر ، أضربه ويخرج يدي . أواه ليس في العالم أعذب منها امرأة . كان يحق لها أن تقترن بملك كبير وتأمره بما تشاء .

- ياجو : ليس هذا ما ستفعله معها .
- عطيل : لتشئ ... ولكن اذكر صفاتها . ما أبرعها في تقليب الإبرة ،
ما أمهرها في الموسيقى . إذا تغنّتْ أزالَتْ وحشية الضاري ،
غير أنها مع ذلك الذكاء وتلك الفطنة ...
- ياجو : أجدر بالثريب ^(١) .
- عطيل : ألف مرة أجدر . ثم ما أشرف محتدها ^(٢) .
- ياجو : أشرف من أن يعبت به هكذا .
- عطيل : تجاوزت حدّ بلا مرء ولكن يا لكفن ، ياجو يا للخسارة .
- ياجو : إذا كنت مفرماً إلى هذا الحد بفجورها فأعطاها إجازة لارتكاب
الخطايا وهذه الإباحة لا تعني أحداً غيرك .
- عطيل : سأهشّمها هشماً . تلك التي عرضتني لهذه المهانة .
- ياجو : إن ذنبها لعظيم .
- عطيل : تخونني مع تابعي !
- ياجو : وهذا ذنب أعظم .
- عطيل : هبّي لي سماً يا ياجو ... الليلة . لا أريد أن يحجري عتاب بيني
وبينها مخافة أن يتغلب جسمها وجمالها على نفسي . الليلة يا
صاحبي .
- ياجو : لا تقتلها بالسم ، اخنقها في نفس السرير الذي دنّسته .
- عطيل : هذا العقاب أعجبني وهو أفضل .

(١) أثرب : لام ، قبح عليه فعله . (٢) محتدها : أصلها .

ياجو : أما كاسيو فدعني أقول القضاء عليه وستعلم بقية أمري في منتصف الليل .

عطيل : غاية في الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق ؟
ياجو : رسول من البندقية بلا شك ... هذا لودفيكو آتياً من قبل الدوج وهذه امرأتك تصحبه .

(يدخل لودفيكو وديدمونه وأتباعهما)

لودفيكو : كلاك الله أيها القائد الشريف .
عطيل : مطيعك من صميم الفؤاد يا سنيور .
لودفيكو : الدوج وأعيان البندقية مرسلون اليك تحياتهم .
عطيل : أقبل الهينة ^(١) الحاملة لمشيتهم .
ديدمونه : وما وراءك من الأخبار يا ابن عمي لودفيكو .
عطيل : أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحباً بك في قبرس .
لودفيكو : شكراً لك ، وكيف الملازم كاسيو ؟
ياجو : حي يا سنيور .
ديدمونه : يا ابن عمي لقد قام بينه وبين مولاي خلاف أحزنني لكن أرجو أن تعيد المياه إلى مجاريها .
عطيل : أواثقة أنت من ذلك ؟
ديدمونه : مولاي .
عطيل : (قارئاً) « واليك أن تفعل في هذا الأمر ما تراه » .

(١) الهنة : الشيء .

- لودفيكو : لم يخاطبك بل كان مشتغلاً بمطالعة هذا الكتاب . أوجد شقاًق
بين القائد وبين كاسيو ؟
- ديدمونه : شقاق ساءني جداً وأرغب في إزالته كل الرغبة لما لي من العطف
على كاسيو .
- عطيل : هب وملح بارود .
- ديدمونه : مولاي .
- عطيل : أمعك مُسكة من العقل .
- ديدمونه : أترأه غضبان .
- لودفيكو : لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن به على ما أظن استدعاه إلى
البندقية وتقليد منصبه لكاسيو .
- ديدمونه : حبذا البشري وما أفرحني بها .
- عطيل : الله الله .
- ديدمونه : مولاي .
- عطيل : أنا فرح بأن أراك مجنونة .
- ديدمونه : كيف يا مولاي الكريم .
- عطيل : أنت شيطانة (يصفعها) .
- ديدمونه : لم أستحق هذا .
- لودفيكو : لو أقسمت في البندقية أنني رأيتك تضربها لما صدقوني . هذا فوق
الطاقة . استغفرها إنها تبكي .
- عطيل : يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرض تلتقح بمعبرات لكانت كل
دمعة تسقط من عيون امرأة تلد تمساحاً . اليك عني .

ديدمونه : (تتجه للانصراف) أنصرف منعاً لاستيائك .
لودفيكو : هل في السيدات أطوع منها ، أبتهل اليك يا مولاي أن تدعوها .
عطيل : أيتها السيدة .
ديدمونه : مولاي .
عطيل : ما تريد منها يا سنيور :
لودفيكو : من ؟ أنا يا سيدي ؟
عطيل : نعم أنت رغبت إلى في دعوتها ولها أن تجيء وتذهب وتدور
وتتقدم وتتأخر كما تشاء ولها أن تبكي ما تبكي . وهي طيعة كما
تقول يا سنيور ، طيعة جداً ... واصل البكاء ... أما محتوى
هذا الكتاب فهو أنني أمرت بالعودة إلى البندقية . أراه بما
'ترهقي الآلام - اذهبي وسأبعث في طلبك بعد هنية ... سنيور
إني مطيع للأمر وسأرجع للبندقية ... توارى من هنا انصرفي
(تخرج ديدمونه) سيتولى كاسيو مكاني . سنيور أرجو أن تجيب
دعوتي إلى العشاء الليلة . مرحباً بك في قبرس يا سنيور - تيوس
وقرّة .

لودفيكو : أهذا هو ذلك المغربي الذي أجمع مجلس أعياننا على امتداحه في
كل شيء ؟ أهذا هو ذلك الطبع الذي لا يستغزه الغضب والذي
تتمالى شجاعته عن أن تنالها ورية زندي من زناد العرض أو
تصيدها رمية من سهام الطواريء ؟

ياجو : لقد تغير حتى تنكر .
لودفيكو : أهو مالك عقله ، أو ليس به مس وخبال .

- ياجو : هو ما ترى . لا ينبغي لي أن أنتقده . وليته كان كما يجب ، بل
كما يستطيع أن يكون .
- لودفيكو : يا للفظاعة يضرب امرأته .
- ياجو : بدمتي لم يكن عمله جميلا ولعله لا يتبعه بأقبح .
- لودفيكو : أهذه عادته أم أثر فيه هذا الكتاب تأثيراً حمله على ارتكاب
هذه الهفوة .
- ياجو : ليس مما يقتضيه وفائي أن أخبرك بما رأيت وعرفت . ستعلم من
أفعاله ما يغنيك عن كلامي ، تتبعه وارقب ما سيكون من
بقية أمره .
- لودفيكو : إني أسيف لما اعتقدته فيه من الخير .

المشهد الثاني

مسكن في القصر

(يدخل عطيل وإميليا)

- عطيل : إذن لم تري شيئا ؟
- إميليا : ولم أسمع ولم يخامرني ظن .
- عطيل : بل رأيتها معا هي وكاسيو .
- إميليا : لكنني لم ألمح ريبة خلال هذه المقابلات ولم يفتني هجاء مما كانا
يقولانه .

- عطيل : غريب . ألم يتها مسا ؟
إميليا : قط يا سيدي .
عطيل : أولم تبعدك مرة عن مكان الاجتماع ؟
إميليا : قط .
عطيل : لتجيشها بمروحتها أو قفازها أو حجاب وجهها أو أي شيء آخر .
إميليا : قط يا سيدي .
عطيل : غريب .
إميليا : أقسم إنها طاهرة يا سيدي وأخاطر على حياتي ، فإن كان قد خامرك شك فقد خدعت ، وإن كان ليثم غادر قد دس في نفسك هذا الشك فليلعنه الله لعنة الثعبان . فوالله لئن لم تكن عفيفة نقية صادقة فليس في الدنيا رجل سعيد وليس في النساء مها طهرت الواحدة منهن إلا كل ملوثة كالفضيحة بعينها .
عطيل : أبلغها أمري بالجيء (تخرج إميليا) تتكلم بحلاء ولكنها قوادة كسائر القوادات لا تستطيع أن تقول إلا ما قالت . أما تلك فبغبي حذرة بل غرفة سوء مقفلة على أسرار نجسة ، ومع هذا رأيتها تجثو وتصلي . رأيتها ...

(تدخل ديدمونه وإميليا)

- ديدمونه : مولاي ما مشيئتك ؟
عطيل : تعالي إلى هنا يا دجاجتي .
ديدمونه : ما الذي تريد ؟
عطيل : أريني حينيك . انظري إليّ مواجهة .

- ديدمونه : ما هذه الأمنية المنكرة ؟!
- عطيل : (إلى إمبليا) أنتِ يا سمحة جودي علينا ببعض الخدم التي تحسنينها . دعي العاشقين مختلين وأقفلِي الباب ثم اسعلي أو هممي إذا جاء أحد . إلى مهنتك . اهضي . أسرعي (تخرج إمبليا) .
- ديدمونه : ألتمس منك جائية أن تقول لي ما معنى هذا الخطاب . أحسن فيه الغضب ولكن الألفاظ لا ادرك معناها .
- عطيل : أجيبيني مَنْ أنتِ ؟
- ديدمونه : زوجك يا سيدي ، حاملتك المخلصة .
- عطيل : أقسمي على هذا واقضِ على نفسك بعداب الآخرة إن لم يكن حقاً . إنك لتشبهين الملائكة شهباً يخيف الشياطين من قبضك ...
- أقسمي مرتين على حياتك الآخرة بأنك طاهرة .
- ديدمونه : السماء تعلم عفتي بكل تحقيق .
- عطيل : السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهم .
- ديدمونه : خدعتُ مَنْ يا سيدي ؟ ولمن ؟
- عطيل : آها ديدمونه اذهبي اذهبي اذهبي .
- ديدمونه : أواه من هذا اليوم المشؤوم ! لماذا تبكي ؟ أنا مسببة هذا البكاء يا سيدي ؟ إذا كنت تظن أن أبي كان الساعي في رجوعك فهل عليّ ملام ؟ وإذا كنت قد فقدت صداقته فقد فقدتها أنا أيضاً .
- عطيل : لو أنه طاب للسماء أن تمنحني بأشدّ البلايا فأمرت على رأسي حاسراً صنوف الآلام والمعرات وأغرقتني في الفقر إلى الشفتين وسامنتي الأسر وخيبة البقية من آمالي ، لوجدتُ في زاوية من

نفسى أدنى موضع للصبر ، ولكن يا للحييف ، لا صبر لي على أن أكون تمثالاً يرمقه الزمان ويشير إليه الاحتقار بإصبع يرفعها على مهل . على أنني ربما تماديت إلى تحمّل هذا ولا بأس . إلا أن هناك مقدساً أودعت فيه قلبي وهو الذي يجب أن أعيش فيه أو لا معنى للعيش . ثم إن هناك ينبوعاً يجري منه تيار بقائي وبدونه ينضب فأنا بين خطتين : إما أن أطرده من المقدس وإما أن أبقي ينبوع مباحاً كالبشر ترده الصراير القذرة وتتواقع بجانبه وتتناسل . إياها الصبر . إياها الملك الوردي الثغر ، تحوّل تجاه هذا المشهد واتخذ وجها قائماً كوجه سقر^(١) .

ديدمونه : أرجو أن يكون سيدي على يقين من عفي .

عطيل : نعم ، نعم ، كيعيني من ذباب الصيف في المهازر لا تبيض حتى تتجماع . أيتها الزهرة المتناهية رقة وجمالاً النافعة من الطيب ما 'يسكر الجوارح لماذا ولدت في الدنيا ؟

ديدمونه : يا ويحي ! أية خطيئة من خطايا السهو اقترفت ؟

عطيل : هذه البشارة الناعمة . هذا الكتاب الشائق المكسوة أكان معداً

لتخطّ على ظاهره كلمة « مومس » ؟ أية خطيئة ارتكبتها ؟

يا بنغي السوق لو ذكرت لك ما فعلته لاحتوت وجنتاي كالتنور

ولسحقاً كل خجل سحق الرماد . أية خطيئة ارتكبتها ؟

السماء تسد أنفها من رائحتها والقمر يغمض عينيه من قبضها

والنسيم الفاسق الذي يقبل كل ما يمر به يختبئ منها في جوف

(١) سقر : جهنم .

الأرض وبأبى سماعها . أية خطيئة ارتكبتها أيتها الفاجرة
الوَقيحة ؟ !

ديدمونه : وأيّمُ الساء إنك لنفتري عليّ الإهانة .

عطيل : ألسن عاهرة ؟

ديدمونه : لا والذي خلقتني متّقية ، وإذا لم يكن إثمًا عليّ حفظي لهذا
الإثاء الجثائي نقياً من كل شائبة وملبس سيء فلست ما تصف

عطيل : وكيف لست بغيّاً ؟

ديدمونه : إني لمؤمنة ببراءتي كإيماني بنجاتي من عذاب الآخرة .

عطيل : أفي الاحتمال هذا ؟

ديدمونه : غفرانك اللهم لنا غفرانك .

عطيل : إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الحبيشة العاهرة من

عواهر البندقية التي اقترنت بعطيل . أنت يا سمحة أنت التي
تمننين نقيض مهنة بطرس وتحرسين أبواب جهنم .

(تدخل إميليا)

عطيل : أنتِ أنتِ ! نعم أنت لقد قضينا لبانتنا وهذا جزاؤك من
النقود . أرجو أن تغلقي الأبواب وتكتمي سرّاً . (يخرج)

إميليا : ويلاه ماذا يتصور هذا السيد ؟ ! كيف أنت الآن يا مولاتي
الكرمية ؟

ديدمونه : بين نوم ويقظة .

إميليا : ماذا جرى بينك وبين مولاي ؟

ديدمونه : وبين من ؟

- إميليا : وبين مولاي يا سيدتي .
ديدمونه : مَنْ مولاك ؟
إميليا : الذي هو مولاك يا سيدتي .
ديدمونه : لا مولى لي . لا تكلميني يا إميليا فما أستطيع البكاء ولا جواب
بغيره عندي . أرغب اليك أن تضعي في هذا المساء على سريري
أغطية العرس . لا تنسي واذهي فادعي زوجك إليّ .
إميليا : هذا تغيير عجيب . (تخرج)
ديدمونه : عدلٌ ما عوملت به ، عدلٌ ولكن ما الذي صنمته حق إن أكبر
هفواتي أدخلت على نفسه أدنى ريب !
(تعود إميليا وياجو)
ياجو : ماذا تريدن يا سيدتي ؟ ماذا جرى ؟
ديدمونه : لا أقدر على ذكره ، الذين يربون الأطفال يرفقون بهم ويكلفونهم
الأعمال السهلة ، كان يستطيع أن يعاملني هكذا – لأنني طفلة
متى زجرت ...
ياجو : ماذا حدث يا سيدتي ؟
إميليا : ويلاه إن سيدي قد أهانها كثيراً ودعاها بغيًا وحقرها تحقيراً
مرهقاً بالفاظ سمجة لا تطيقها القلوب الكريمة .
ديدمونه : أنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو ؟
ياجو : أية تسمية أيتها السيدة الجميلة ؟
ديدمونه : التي دعاني بها مولاي .
إميليا : دهاها بعامرة وهو ما لا يقوله الشحاذ السكران لمن هي معه .

- ياجو : علام فعل هذا ؟
 ديدمونه : لا أدري . وأنا على ثقة من أنني لست كما زعم .
 ياجو : لا تبكي لا تبكي . ويلاه . مصيبة .
 إميلييا : أتركت سائر خطاياها الشرفاء وهم كثير ، وتركت أناها وبلادها
 وأصدقاءها لتسمى عاهرة ؟ أليس في هذا ما يستبكي ؟
 ديدمونه : قضاء من نحسي .
 ياجو : لعنة الله عليه لفعله هذا ، من أين أصابه هذا الجنون ؟
 ديدمونه : الله وحده يعلم .
 إميلييا : بل على عنقي . إن هناك غداراً هالكاً داساً محتالاً شحاذاً
 نثاماً غشاشاً وكفى وشاية لينال منصباً . على عنقي هذا ما
 هو كائن .
 ياجو : دعي الوهم أوجد رجل من هذا النوع ؟ ! محال .
 ديدمونه : إذا كان موجوداً فليسامحه الله .
 إميلييا : بل ليسامحه حبل المشنقة ولتأكل جهنم عظامه . لم دعاها بغيًا...
 من الذي يعاشرها وأين ومتى وأي ظاهر دل . وهل هو معقول؟
 لقد خدع المغربي . خدعه أحد السفلة الأدنياء المجرمين الأبالسة ،
 أحد المكورة المتهنين . يا للسماء لو عدلت لوجب أن تكشفني
 الستار عن أولئك المجرمين وتضعني سوطاً في يد كل رجل كريم
 بساط به أولئك اللثام في أطراف الدنيا من الغرب إلى الشرق .
 ياجو : اخفضي من صوتك .
 إميلييا : خيبة وعار على أولئك الناس . ألم يدخل عليك واحد منهم أن

بيني وبين المغربي ربية . (مخاطبة ياجو بصوت منخفض)

ياحو : (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء امشي .

ديدمونه: ياجو واحسرتاه كيف أصنع لأعود إلى رضى مولاي ؟ اذهب اليه يا صديقي لأنني وَايمُ هذا النور الساوي لا أعرف كيف فقدته . إنني لأجثو هنا ولئن كنت قد أخطأت إلى غرامه مرة عن قصد سواء بلساني أم بفكري أم بفملي، بل لئن كانت عيناى أو أذناى أو أية حاسة من حواسي الأخر مالت إلى غيره ، بل لئن كانت غير مقيمة على حبه الآن كما كنت أحبه وكما سأحبه أبداً حق لو قذف بي في شقاوة الطلاق ، لا كانت لي سلوى ولا تعزية في هذه الدنيا . إن القسوة لتقدر على كثير وقسوته عليّ قد تقتلني على أنها لا تدنس غرامي . أنا لا أستطيع أن أقول بغبي . هذه الكلمة يؤلمني لفظها فما بال العمل الذي يصمُّ بها ولو دعنتني اليه جميع أنا طيل الحياة .

ياحو : صبراً صبراً إن هي إلا سحابة كدر وتنقضي . لقد أزعجت أحوال الحكومة فوقك عليك غضبه .

ديدمونه: إن لم يكن سبب إلا هذا رضيت .

ياحو : لا سبب إلا هذا، على عهدتي (تسمع أبواق) أصفي هذه الأبواق تدعوك إلى العشاء وسفراء البندقيسة في انتظارك للجلوس إلى المائدة انهضي اليهم ولا تبكي ثم كل شيء يجيء على المرام (تخرج ديدمونه وإميليا) ما جاء بك يا ردريجو . (يدخل ردريجو)

ردريجو : لا أجذك تحسن الصنيع معي .

ياجو : ما يثبت لك ذلك .
ردريجو : كل يوم تطاولني ملتصقاً عذراً جديداً ويظهر أنك تمنعني القصر
بدلاً من أن تساعد على سنوحها . لن أتحمل هذه السيرة ولم يبق
في وسعي أن أهضم بسكينة كل ما هضمته عن حمق من قبل .

ياجو : أتصغي إليّ وتمثل يا ردريجو ؟
ردريجو : وذمتي لقد طالما امتثلت فما حلوت بطائل لأن أقولك لا تنطبق
على أفعالك .

ياجو : تتهمني بغير حق .
ردريجو : بل بحق ، فلقد أنفقت ما جاوز مقدرتي والجواهر التي أعطيتك
إياها برسم ديدمونه كانت تكفي لقصم راهبة من نصفها ، فإن
كنت قد أوصلتها كدعواك وكانت العيدات^(١) التي جمّنتني بها
منها شكراً صحيحاً فلم لا أجد تحقيراً لشيء منها ؟

ياجو : امض في كلامك . هذا حسن .
ردريجو : امض ، كفاني ما مضى — هذا حسن . أقول إن فعله ليس
بحسن . بل إنه نهاية في القبح وقد ألمح أنك عبثت بي في
هذه المسألة .

ياجو : حسن في النهاية .
ردريجو : قلت لك إنه غير حسن لا في النهاية ولا في البداية . اريد أن
تعرفني ديدمونه ، فإذا ردت عليّ جواهري عدلت عن متابعتها

(١) العيدات : المواعيد .

والتمست الصفح منها عن سوء ما ندبتها له وإلا جعلتك مسؤولاً عنها وأزلت بك عقابي .

ياجو : ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة ؟
ردريجو : لم أقل إلا ما أنا مزع فعله عن يقين .
ياجو : الآن تبينت أنك باسل ، ومنذ الساعة أرى فيك رأياً لم أره من قبل . صافحني يا ردريجو لقد أسأت بي الظن ولك العذر غير أنني أؤكد لك أنني اشتغلت بمهارة لا تقبل المزيد في مسألتك .

ردريجو : مهارة لم أتبين أثرها !
ياجو : اسلم ، ولهذا أجذك حكمت بعقل . لكن إذا صحّ أن عندك ما أعتقده الآن فيك من الشجاعة ورباطة الجأش فأرنيها الليلة ، فإذا كنت في الليلة التالية لا تتمتع بديمومه كان لك أن تقصيني عن هذه الدنيا بخيانتني وتنصب من الفخاخ ما تشاء لإفقادي حياتي .

ردريجو : أوافق . ما الذي تبتغيه مني ؟ شيء في الإمكان أو المقول ؟
ياجو : لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو محل عطيل .
ردريجو : أصدق هذا النبأ . إذن عطيل وديمومه يعودان إلى البندقية .
ياجو : كلا ، بل يذهبان إلى موريتانيا إلا إذا اضطرت الأحوال عطيلاً أن يطيل مقامه هنا . وخير ما يستطال به مقامه أن يُحذف كاسيو .

ردريجو : ما تعني بهذا الحذف ؟
ياجو : أعني أن يُعاق عن الحلول محل عطيل ... أن يُهشّم رأسه .

ردريجو : وهذا ما تنوطه بي .
 ياجو : نعم إذا جرؤت أن تملك نفسك نفعاً وحقاً . سيمتشي الليلة عند
 فاجرة فالحق به إلى منزلها وهو ما زال يحبل النعمة التي وقعت
 إليه ، فارقبه إن شئت بين منتصف الليل والساعة الواحدة ...
 ومتى ألفتني يمانبك لأعينك بحيث لا ينجو من ضرباتنا ،
 فاعزم ولا تقف دهباً متردداً بل تعالَ معي ، سأريك بعينيك
 وجوب قتله فتجد من نفسك عاملاً على الإيقاع به . قد مضى
 ميعاد العشاء فلا تتباطأ لعدم فوات الفرصة ، هلم بنا إلى العمل .
 ردريجو : اريد أسباباً أدعى من هذا لارتكاب ما تكلفني إياه .
 ياجو : سأوافيك منها بما تشاء . أرحّ بالك . (يخرجان)

المشهد الثالث

مسكن آخر في القصر

(يدخل عطيل ولودفيكو وديدمونه وإميليا وأتباع لهم)

لودفيكو : حلفت عليك إلا ما منعت عن نفسك أمثال هذه المكدرات .
 عطيل : ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التنزه يفيدني .
 لودفيكو : طاب ليلك يا سيدي وشكراً جزيلاً لفضلك .
 ديدمونه : الشكر لك على التشریف .
 عطيل : أتمضي للتنزه يا ستيور ... أه ديدمونه ... انطلقني وادخلي
 سريرك منذ الآن . سأعود بلا توازن ثم اصرفي التابعة ولا تنسي .

ديدمونه : نعم يا مولاي . (يخرج عطيل ولودفيكو والأتباع)

إميليا : يظهر أنه أصفى مما كان .

ديدمونه : قال إنه عائد حالاً وأمرني أن أذهب إلى السرير وأوصاني بصرفك .

إميليا : بصرفي ؟

ديدمونه : كذا أراد ، فأعطيني يا عزيزتي إميليا بدلة نوهي ودعيتي ، إذ لا ينبغي أن نفعل الآن ما يرضيه .

إميليا : كنت أودّ لو لم تريه قط .

ديدمونه : ليس هذا، ما أود ، وإن حيي له ما زال بأكله - أرجو أن تفكي عرى ثوبي - حق إنني لأجد لطفاً وجمالاً في غضبيه وزجراته .

إميليا : جعلت على السرير الأغطية التي أوصيتني بوضعها .

ديدمونه : أستوى عندي كل شيء . ما أعبت الجتون بنفوسنا . إذا مت قبلك فأمنيتي أن تلفّيني بهذه الأغطية .

إميليا : دعي دعي السفاف .

ديدمونه : كانت لأمي وصيفة تدعى بربارة وكانت تعشق رجلاً . ذلك

الرجل أصيب يوماً بخیال وهجرها فكانت لا تفتأ تنشد أنشودة

قديمة تعبر أحسن تعبير عن سوء بختها . ولما حضرتها الوفا:

قضت نحبها وهي تتغنى بها . تلك الأنشودة تعاود فكري الليل

بلا انقطاع ، وأكاد لا أملك رأسي أن يميل إلى جانب ولا لساني

أن يردد أنشودة المسكينة برباره . عجلي ولك الشكر .

إميليا : أحضر لك قميص النوم ؟
ديدمونه : لا ، أعينيني على تفكيك هذه العرى ، إن لودفيكو لرجل كريم .
إميليا : ومنيف في الرجال .
ديدمونه : وحسنُ الحديث .
إميليا : أعرف امرأة في البندقية لو وُعدتْ بقبلة من شفته السفلى
لسافرت إلى فلسطين في طلبها .

ديدمونه : (متغنية) « ثَوّت الحزينة تبكي تحت الجميزة »
« غنوا جميعاً على الصفصافة الخضراء »
« وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبته »
« غنوا جميعاً على الصفصافة الصفصافة الصفصافة »
« وكانت المياه الباردة تجري بقرنها وتنهّد تنهّدها .
« غنوا على الصفصافة »
« ودموعها تجري حتى تلين الصخور »
« ضعي هذه الملابس هنا .
(متغنية) « غنوا على الصفصافة ... »
بحياتك عجّلي قد قرُبَ معاده .
(متغنية) « ليصنع فاجي من صفصافة خضراء »
« لا تلوموه على الجفاء أفديه وأفدي إعراضه »
نسيت البقية : سمعاً ... من يطرق الباب ؟

إميليا : الريح .
ديدمونه : (متغنية) « دعوته بالماشق الكاذب فماذا قال ؟ »

« غني على الصفاة ... »

« إذا غازلتُ غيرك من النساء غازلتُ غيري من الرجال »
الآن اذهبي ومَسَّاكِ الله بالخير: جُفُونِي تَحْزِينِي ، أَسْبَقُ شعور
بأنني سأبكي ...

إميليا : هذا لا يدل على شيء .

ديدمونه : كنت سمعت كلاماً في هذا المعنى، أوهُ الرجال الرجال ؟ أظنن
يا إميليا وجود نساء يُهنّ بعولتهن إهانة غليظة كهذه ؟

إميليا : توجد نساء من هذا القبيل ولا شك .

ديدمونه : لو أعطيت العالم بديلاً أكنت تقترفين خطيئة كهذه ؟

إميليا : أقترفها ولا ريب ... أما أنت أفما كنت لتفعلي ؟

ديدمونه : لا وهذه الأنوار الساوية .

إميليا : أنا أيضاً لا أفعلها وهذه الأنوار^(١) الساوية أما في الظلام قبلي .

ديدمونه : أنفعلينها ولو أعطيت العالم كله .

إميليا : العالم شيء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئة صغيرة .

ديدمونه : أظنك إذ جدّ الجد لا تقترفينها .

إميليا : إذا جدّ الجد أظنني أقترفها ، وأنني بعد اقترافها أؤبّ عنها .

لا جرم أن الهدية لو كانت خاتماً مضاعفاً أو بعض أصواف أو

ثياب أو قبعات أو أي شيء حقيق من هذه الدنيا لصنت نفسي

وأما الدنيا بجذافيرها فلا . وهل توجد امرأة لا تشتري لزوجها

(١) الأنوار في السطر السابق مكسورة على الإقسام وفي هذا السطر منصوبة باعتبار أن الواو واو المعية .

الملك بقرنين خفيين . من يقلدُ بعلي التاج فقد رضى
بالأعراف (١) سبيلاً .

ديدمونه : رضى بلعنة الله لو رضى بالدنيا قاطبة جزاء خطيئة من هذا
القبيل .

إميليا : خلي عنك ، لو أوتيت الدنيا لما كانت خطيئتك فيها إلا إحدى
الخطايا التي تجري في أملاكك ولك حينئذ أن تكفري عنها
سريعاً بما تشائين .

ديدمونه : لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة .

إميليا : نعم توجد من صفها عشرات بل بتعداد ما يكفي لعمار العالم
الذي يقامرون لأجله . على أنني أعتقد أن النساء إذا عثرنَ فالذنب
للمعولة لأنهم بين خطئين (٢) إما أن يهلوا واجباتهم ويثلقوا
بكنوزهم في أحواض أجنيات أو أن يتفجروا عليهن غيرة
فيسومونهن المضايقة وآلام الضرب ، وقد يبتزون أموالهن .
ومهما يكن من طبائعنا فإن فيها شيئاً من السم ، ولسنا خاليات
من شغف بالانتقام تحت ما يروق من مظاهرها . . . ليعلم الأزواج
أن لنسائهم حواس مثلهم لمن عيوناً ومناشيق وحُلوقاً يميز بها
الحلو من المر كما لهم . وماذا هم فاعلون حين يستبدلون بواحدة منا
غيرها ؟ أهي اللذة تدعوهم ؟ نعم . أهو الغرام يدفعهم ؟ نعم
أيضاً . أهو الضعف ينتقل بهم في هذه الضلالات ؟ نعم نعم نعم ؟
فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن أيضاً لذات نشتهى

(١) الأعراف : مكان تطهير النفوس بعد الموت . (٢) خلتين : أمرين .

وسودات نبتقيها مع ضعف كضعفهم يحملنا على غير كَحَمَل ؟
لهذا أقول إما أن يحسنوا معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التي
نقتربها إنما هي رجع ما تتعلمه من آثامهم .

ديدمونه : طاب ليلك ومُسَيِّتِ بخير وليمنحني الله أخلاقاً تعينني لا على
استخراج الشر من الشر بل على استخراج صلاح لنفسي من حيث
لا يكون صلاح .

الفصل الخامس

المشهد الأول

في قبرس - طريق

(يدخل ياجو وردريجو)

ياجو : مهيا ... قف وراء هذا الطرف من الحائط . إنه لآت حالا .
أسللت نصلتك الماضية واعطه بها جوازاً لسكنى الآخرة ...
عجلاً عجلاً . لا تخف شيئاً أنا بجانبك . إننا بفعلتنا فائزان أو
هالكان . تذكر هذا وامكث متيناً في قصدك .

ردريجو : البت بقرب مني . أخشى أن يخور عزمي .

ياجو : هاأنذا على منالك . تشجع وقف متأهباً . (ينتحي قليلاً)

ردريجو : لا أجد من نفسي دافعاً قوياً على ارتكاب هذا العمل إلا أن ياجو

ذكر لي أسباباً مقنعة . لقد قضيت على الرجل . تجرد من غمدك يا

سيفي . إنه هالك . (يقف متأهباً)

ياجو : حككت له ذلك الجرب حتى هاج وتحكم . ليقتل كاسيو أو ليقته

كاسيو أو ليتأخر كلاهما فالنتيجة أية كانت مفيدة لي. ذلك لأنه إذا بقي ردريجو طالبني بالحلى والمصوغات التي سللتها منه تباعاً بزعم أنها هدايا إلى ديدمونه ، وما ينبغي أن يستردها مني. وإذا بقي كاسيو عاش عيشة رغد ومجد تكون بجانبها عيشتي حقيرة جداً. فضلاً عن أن المغربي قد يكشفه في أمري ، فأنا إذن في خطر عظيم ولا بد من قتله . صه صه . أسمع . قادماً .

(يدخل كاسيو)

ردريجو : عرفت خطاه ... هو بعينه — أنت ماثت يا غادر يا أثيم .

(يهجم من مكته ويضرب كاسيو)

كاسيو : لولا متانة درعي لكانت هذه الضربة أعدى أعدائي . سأرى الآن متانة درعك . (يجرّد سيفه ويضرب ردريجو فيجرّحه)

ردريجو : آه قتلت !

(ههنا يهجم ياجو فيضرب كاسيو من وراء ضربة

تصيب فخذه ويتوارى)

كاسيو : كُسِرَتْ ساقى وسأعيش أعرج ، يا للناس ، على القاتل على القاتل . (يسقط) (يدخل عطيل من مسافة)

عطيل : هذا صوت كاسيو لقد وفى ياجو بوعده .

ردريجو : أواه ما أشقاني !

عطيل : صدقت !

كاسيو : المدد المدد أنبروا هااتوا آسيماً^(١) .

(١) آسيماً : طبيباً للجراحات .

عطيل : هوّه ، أي ياجو الأمين الباسل الذي يَقْدُرُ إهانة صديقه قدرها ، إنك لتعلمني ما يجب عليّ . وا عاهرتا إن حبيبك للمقيّ صريعاً ، وإن أجلك ليدنو . . . محوت من قلبي طلائم عينيك وسيضرج سريرك الذي شابه الفسق بشوائب من دم فاسق .

كاسيو : يا أهل المدد . ألا حرس هنا ؟ ألا عابري سبيل ؟ يا للقتيل من القاتلين . (يدخل لودفيكو وغراتيانو من مسافة)

غراتيانو : هذا ولا ريب خطب جلال وصوت المستجير صوت رائع .

كاسيو : المعونة .

لودفيكو : أصفوا .

ردريجو : يا للشقي الفادر .

لودفيكو : هنا اثنان أو ثلاثة يَسْتَوْنَ والظلام حالك . من رأيي ألا نتقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا إذا جاء مدد جديد .

ردريجو : ألا يأتي أحد ، إذن يسيل دمي حق أموت .

لودفيكو : اسمع .

غراتيانو : هذا شخص يمدو عارياً ومعه نور وأسلحة .

(يعود ياجو ومعه مصباح)

ياجو : مَنْ هنا ؟ مَنْ الذي يقلق السكون، بصيحاته واستجاراته ؟

لودفيكو : لا نعلم .

ياجو : ألم تسمعوا صراخاً ؟

كاسيو : إلى هنا إلى هنا أغيثوني بالله .

ياجو : ماذا جرى ؟

- غراتيانو : هذا ضابط عظيم إن لم أكن واحداً .
- لودفيكو : هو بعينه ونعم الفتي الشجاع .
- ياجو : مَنْ أنت أيها المستصرخ بهذا الصوت المنكر ؟
- كاسيو : أياجو ؟ ضربني . قتاني أناس من اللصوص . أغثني .
- ياجو : أسفاً أيها الملازم . مَنْ اللصوص الذين جَنَوْا هذه الجناية ؟
- كاسيو : أظن أن أحدهم بقربي وحالته لا تمكنه من الفرار .
- ياجو : يا للخونة الغدارين (ملتفتاً إلى لودفيكو وغراتيانو) وأنتم من تكونان ؟ ... أقبلوا وامنحنا مدداً .
- ردريجو : أغيشوني . أنا هنا .
- كاسيو : هذا أحد المعتدين عليّ .
- ياجو : يا لك من شحاذ قاتل . يا لك من غدار (يطعن ردريجو بخنجره) .
- ردريجو : أواه أيها الهالك ياجو أيها الكلب الوحشي .
- ياجو : يقتلون الناس في الظلمات . أين أولئك اللصوص السفاكون للدماء ؟ ! ما أسكتَ هذه المدينة .. ! قتل قتل ، ترى من أنتم ؟ أللخير أم للشر ؟
- لودفيكو : احكم لنا أو علينا بما ستري .
- ياجو : السنيور لودفيكو .
- لودفيكو : هو نفسه .
- ياجو : ألتمس العفو . هذا كاسيو جرحه بعض المجرمين .
- غراتيانو : كاسيو ؟
- ياجو : كيف حالك يا أخي ؟

كاسيو : بُتِرَتْ ساقِي شطرين .
ياجو : لا سمح الله . أنيروا لأخمند جرحه بقِدَّة (١) من قيصي .
(تدخل بينكا)

بينكا : ماذا حدث ؟ مَنْ كان يستصرخ ؟
ياجو : مَنْ كان يستصرخ ؟
بينكا : واحبيباه كاسيو ، واعزياه كاسيو ، كاسيو كاسيو .
ياجو : يا لك من عاهرة فاجرة . كاسيو أتخمن مَنْ المعتدون عليك ؟
كاسيو : لا .

غراتيانو : أنا حزين لرؤيتك هكذا و كنت قد خرجت للبحث عنك .
ياجو : أعيرني ربطة ساق . وُضعت . إلينا بكرسي نحملة عليه .
بينكا : ويلاه أغمي عليه ! كاسيو كاسيو كاسيو .
ياجو : أيها السيدان أشتبه في هذه المرأة الغادرة الواقعة هنا أنها شريكة
للمجرمين . صبراً قليلاً أي صديقي كاسيو . هلم بنا . أعيروني
مصباحاً . أتعرفان هذا الوجه أم لا ؟ ويلاه صديقي ومواطني
العزيز ردريجو . لا لا . بلى بلى . يقيناً هو ... ويلاه ردريجو .

غراتيانو : البنديقي .
ياجو : هو نفسه أكنت تعرفه ؟
غراتيانو : حق المعرفة .
ياجو : أأنت السنيور غراتيانو ؟ عفوك يا سيدي فإن هذه الحوادث
المشؤومة هي التي شغلتنني عنك كما ترى .

(١) قدة : قطعة .

غراتيانو: مسرور بمشاهدتك .

ياجو : كيف حالك الآن يا كاسيو ؟ أسمعونا بكروسي ...

غراتيانو: ردريجو .

ياجو : هو هو بعينه . واهاً . جاء الكرسي (يجلب كرسي) ليحمله

أحد الحاضرين بعناية ، وسأذهب لإحضار طبيب القائد . (إلى

بينكا) أما أنت يا بنت فأبقي على نفسك من التعب . (إلى

كاسيو) إن الذي يشوي هناك صريعاً كان صديقاً كريماً عليّ ،

أي خلاف قام بينكما ؟

كاسيو : لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه .

ياجو : (إلى بينكا) علامَ يمتقع هذا الوجه ، رُدِّيهِ (يعني كاسيو)

من الهواء (يحمل ردريجو وكاسيو) تخلّفوا أنتم أيها السادة .

ما أشدّ اصفرارك يا بنت . أترَوْن شرود عينيها ؟ إذا كان

الرعب قد استولى عليك فلتعلمنّ نبأه بعد حين . ارمقوها ،

تفرّسوا فيها ، انظروها ... أتلحون ؟ أيها السادة ستظهر

الجريمة ولو أصبح الكلام عادة مفقودة . (تدخل إميليا)

إميليا : واحرباه ! ماذا جرى ؟ أي زوجي ماذا جرى ؟

ياجو : اعتُدي على كاسيو في الظلام . هاجمه ردريجو وآخرون فرّوا

فأما كاسيو فصُرع وأما ردريجو فتجنّدل .

إميليا : واحربا على كاسيو النبيل الكريم .

ياجو : هذا جَنَى الفسوق . بحقك يا إميليا إلا ما ذهبتِ حالاً تسألين

كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا) أترجفين من هذا السؤال ؟

- بينكا : تعشى في منزلي ولا أرتجف البتة .
ياجو : آه تعشى في منزلك ؟ أمرك باتباعي .
إميليا : قبحاً لك يا عاهرة .
بينكا : لست بعاهرة ولكنني امرأة تعيش على هواها وعندي من العفة
مثل ما عندك يا شاتقي .
إميليا : مثل عفتي ؟ أقبحاً وكذباً ؟
ياجو : هلم بنا سادتي الأعزاء نأسُ جراح كاسيو . تعالي أنت يا بنت
ستقصين علينا قصة أخرى . إميليا عدّوا إلى القلعة وأخبري
مولاي ومولاتي بما حدث . أتتفضلون بالمسير ؟ (منفرداً) هذه
الليلة ليلتي فأما العمار وإما الدمار .

المشهد الثاني

غرفة نوم في القصر

- (ديدمونه في سريره وإلى ناحية منها مصباح يضيء)
(يدخل عطيل)

- عطيل : تلك هي العلة^(١) يا نفسي . علة أعذر اليك عن تسميتها أيتها
النجوم الطاهرة ، ومع هذا لست عازماً على سفك دمها ولا على

(١) يريد بالعلة ضعف قدرته الرجولية .

تمزيق بشرتها النقية كالثلج الصقيلة كمرمر القبر ، غير أن موتها
متحتم وإلا خانت رجالاً آخرين . لنطفىء المصباح . وبعد ...
إن أطفأتك يا وزير النور ثم ندمت أعدتك إلى إضاءتك الأولى .
ولكن متى أطفىء منك النور يا أبداع مشال من صنع الطبيعة
الماهرة ، فما أعلم أي ضرب من المذكيات ^(١) التي يدخرها إله
النار يستطيع أن يعيد إليك ذلك الرونق والبهاء . متى
استوصلت وردتك النضيرة أصابها الذبول والجفاف لا محالة ولن
أملك أن أرد عليها مقدرتها الحيوية . اريد أن أتنشقها في منبتها
(يقبلها) يا لعلرف الطيب الذي يكاد يُقنع المعدل بكسر
سيفه . قبله ثانية . ثم ثالثة . البشي هكذا حتى تموتي فأقتلك وأحبك
بعدها . قبله أخرى وهي الأخيرة . ما في سوابق الدهر قبلة
أعذب ولا أنكى عقبى من هذه . يجب أن أذرف الدموع ،
ولكنها دموع جارحة . هذا الألم سماوي وإنما يضرب حيث
يجب . (تستيقظ)

- ديدمونه : من هنا ؟ عطيل .
عطيل : نعم ديدمونه .
ديدمونه : أتريد الهجيء إلى السرير يا مولاي ؟
عطيل : هل صليت الليلة يا ديدمونه .
ديدمونه : نعم يا سيدي .
عطيل : إذا كنت تتذكرين ذنباً مبقياً 'فرجة' ^(٢) بينك وبين رحمة الله

(١) المذكيات : النيران . (٢) فرجة : مسافة .

فاستغفري حالا .

ديدمونه : ويلاه يا مولاي ما معنى هذه الكلمات ؟

عطيل : استغفري واختصري سأتمشي قليلا ريثما تذهبن . لا أريد قتل نفسك وهي خاطئة ، أبى الله . لا أريد قتل نفسك .

ديدمونه : أتذكر القتل ؟

عطيل : إياه أذكر .

ديدمونه : إذن لترحمي السماء .

عطيل : آمين بكل جوارحي .

ديدمونه : أرجو ألا تفعل وإن تكلمت هكذا .

عطيل : هيم هيم .

ديدمونه : ومع هذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لا تترد متى كانت عيناك تدوران هكذا ... لم أخاف ولا ذنب لي . ما أدري . ولكنني شاعرة بالخوف .

عطيل : فكري في خطاياك .

ديدمونه : لا إثم لي إلا هواك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونه : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه ، ويلاه لم تعض هكذا على شفتك السفلى ، أجد بك الهيزة التي تهتزها حين سفك الدماء غير أنني أرجو ألا يكون تهديدها موجهاً إليّ .

عطيل : اهدئي وأصفي .

ديدمونه : سأفعل ... ماذا تريد ؟

عطيل : ذلك المنديل الذي كنت أحبه كثيراً وأعطينك إياه أنت أهديته إلى كاسيو !

ديدمونه : لا وحياتي ونفسي ... استدع هذا الرجل وليسأل .

عطيل : احذري يا حبيبتي احذري من الحِنَّث^(١) وأنت على سرير الموت .
ديدمونه : نعم ولكن لا . لا أموت الآن .

عطيل : بلى الآن . وأن تعترفي خير لك لأنك لو أنكرت كل جزء من أجزاء ذنبك وشفعت كل إنكار بقسم لما بددت قِرةَ العقيدة التي أتألم منها . ستموتين .

ديدمونه : إذن ليرحمي الله .

عطيل : آمين .

ديدمونه : ارحمني أنت أيضاً . لم أسيء اليك قط في حياتي ولم أحبب كاسيو بل ودِّدته كما أباح الله الوداد المألوف ولم أهاده لعمري بشيء ما .

عطيل : لقد رأيت منديلي في يديه ، ويحك من امرأة خائنة إنك لتغيرين قلبي إل - نر وتحولين إلى مفصل ما كنت أعتقده قراباً . رأيت المنديل بعيني .

ديدمونه : لعله وجده ضائعاً أمّا أنا فلم أعطه إياه . أرسل في طلبه وليعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونه : ماذا تقول يا مولاي ؟

عطيل : إنه قضى منك مأرباً .

(١) الحنث : الكذب في اليمين .

- ديدمونه : مأرب سوء .
- عطيل : نعم .
- ديدمونه : لن يقول ذلك .
- عطيل : أجل لأن فيه أقفل وقد صدر أمري إلى ياجو الوفي بما يجب .
- ديدمونه : إن خوفي قد أدرك معنى هذه الكلمات . أمات ؟
- عطيل : لو كانت له أعمار عداد شعره لافتستها كلها .
- ديدمونه : ويلاه قد خانوه وأضاعوني .
- عطيل : اهليكي يا فاجرة أتبكيه بمشهد مني .
- ديدمونه : بحياتك يا سيدي انفي ولكن لا تقتلني .
- عطيل : اهليكي يا فاجرة .
- ديدمونه : اقتلني غداً ودعني أعيش الليلة .
- عطيل : إذا حاولت المقاومة ...
- ديدمونه : نصف ساعة بلا مزيد .
- عطيل : لا تأخير .
- ديدمونه : ميقات ما أصلي .
- عطيل : لات ساعة صلاة ^(١) .
- (يخنقها)
- إميليا : (من الخارج) مولاي مولاي !
- عطيل : ما هذا الصوت . لم تمت تماماً إني لقاسٍ ولكن رحيم . لا ينبغي إطالة عذابك . هكذا هكذا .
- إميليا : (من الخارج) مولاي مولاي !

(١) مضت ساعة الصلاة .

عطيل : مَنْ هنا ؟

إميليا : مولاي الكريم ، كلمة واحدة !

عطيل : نعم هي إميليا . حالاً . ماتت . لعلها قادمة تخبرني بموت كاسيو .
كانت الضوضاء شديدة . آه امتنع كل حراك . ساكنة كالقبر .
أسمح بدخولها . أيجسن . أظنها تتحرك . لا . ما الأصلح .
إذا دخلت حاولت بلا ريب مخاطبة امرأتي . امرأتي ... أية
امرأة . لا امرأة لي ... يا للذكرى الفاجعة يا للساعة القاصمة .
يُخَيِّلُ إليّ أن بالشمس والقمرُ حَقّاً فظيماً في هذه الساعة ،
وأن كرة الأرض ستنشق بين هذا الاختلاط .

إميليا : (من الخارج) يا سيدي الكريم أستحلفك أن تسمح لي بكلمة .
عطيل : كنت قد نسيت . ادخلي يا إميليا . تهلي . حالاً . لنسدل
الأستار . أين أنت ؟ (يفتح الباب) ماذا تلتسمين في مثل هذه
الساعة ؟

إميليا : يا سيدي الكريم قد ارتكبتُ جناية منكرة .

عطيل : متى ؟ الآن ؟

إميليا : الساعة يا سيدي .

عطيل : هذا ناتج من مخالفات القمر لأنه يقرب من الأرض أكثر مما يجب .
ويُدْخِلُ الجنون على الناس .

إميليا : كاسيو يا سيدي قتل شاباً بندقياً يدعى ردريجو .

عطيل : قُتل ردريجو وقُتل كاسيو !

إميليا : لا ... كاسيو لم يقتل .

عطيل : كاسيو لم يقتل إذن فالقتل يتغنى غلطاً والانتقام المطرب يشوش
أنغامه .

ديدمونه : آه قتلت خطأ . خطأ قتلت .

إميليا : ويلاه ما هذا الصوت ؟

عطيل : أي صوت ؟

إميليا : صوت مولاتي . الغياث الغياث . أي سيدتي تكلمي مرة أخرى ،
أي ديدمونه الطاهرة ، أي مولاتي الرقيقة تكلمي .

ديدمونه : أموت بريئة !

إميليا : ومن جئني هذه الجناية ؟

ديدمونه : لا أحد . أنا جنيتها . أستودعك الله ، اذكريني لدى مولاي
الحبيب . آه أستودعكم الله . (تموت)

عطيل : ولكن كيف أميتت ؟

إميليا : من يعلم ، يا للأسف .

عطيل : أسمعت من مها أنني لم أكن أنا الفاعل ؟

إميليا : هذا ما قالته وعلي أن اجيب بالحق .

عطيل : ذهبت إلى جهنم المحرقة بما كانت تكذب . أنا الذي قتلتها .

إميليا : أواه ، إنها بهذه الميتة لم تزد إلا طهارة الملك الكريم ، كما أنك
لم تزد مجنأيتك إلا سواد الشيطان الرجيم .

عطيل : كانت عاهرة .

إميليا : اتهمتها كذباً وشاية . أنت إبليس .

عطيل : كانت غشاشة الظاهر كالماء .

إميليا : وأنت جَسور كالنار بقولك إنها غشاشة . كَهْفِي عليها كانت
أصدق من أبرار السماء .

عطيل : كاسيو ضاجعها ... أسألي زوجك عن ذلك ، ولولا هذا السبب
الحق لما فعلت فعلتي إلا وأنا هالك إلى أدنى قاع جهنم .

إميليا : زوجي ؟!

عطيل : بعينه .

إميليا : كان يعلم أنها متعففة لوليتها ؟

عطيل : نعم ... وأنها زنت مع كاسيو . على أنني لولا ذنبها هذا لو
أبدلت منها بالعالم وقد جُمع إلى جوهرة واحدة ما رضيت .

إميليا : زوجي ؟!

عطيل : نعم هو أول من أطلعني على سرّها وإنه لرجل صالح يكره
الخنزاة التي تعلّق بالأعمال السيئة .

إميليا : زوجي ؟!

عطيل : ما معنى هذه الإعادات ... قد قلت لك يا امرأة إنه زوجك .

إميليا : يا مولاي إن الغدر قد قامر الفرام مقامرة خديعة ... أزوجي
الذي قال إنها فاسقة ؟!

عطيل : هو نفسه يا امرأة . زوجك نفسه أفهمت ؟ صديقي زوجك
ياجو الوفي المخلص .

إميليا : إن كانت هذه وشايته فليت نفسه الشريرة تتعفن كل يوم مرة .
إنه كَذَبَ من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونة حبا بالشبع
الخفيف الذي اختارقه بعلا .

- عطيل : الله !
- إميليا : إفعل كل فظيعة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروساً لك .
- عطيل : أولى لك السكوت .
- إميليا : ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصف ما عندي من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله . لقد ارتكبت جريمة ... لا أخاف سيفك وسأكشف أمرك حتى لو كانت لي عشرون حياة وفقدتها .
- الغيث الغيث . المدد المدد ، المغربي قتل مولاتي . على القاتل على القاتل . (يدخل منتانو وغراتيانو وياجو)
- منتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟
- إميليا : أنت يا ياجو حضرت . لا جرم أنك أحكت سيرك فجعلت الناس يلقون عليك تبعات آثامهم .
- غراتيانو : ماذا جرى ؟
- إميليا : كذب هذا المجرم إن كنت رجلاً . يقال إنك وشيت عنده في امرأته وأعلم أنك لم تفعل ولست ذلك الأثيم ... تكلم لأن قلبي فائض بما فيه .
- ياجو : قلت له ما كنت أعتقد ولم أزد على ما تحقق بنفسه .
- إميليا : ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة .
- ياجو : نعم .
- إميليا : كذبت على الله وعليه كذباً قبيحاً مهلكاً للنفس . أهي اقترفت إنفاً مع كاسيو . أقلت مع كاسيو ؟

- ياجو : مع كاسيو يا قوادة ، اقطعي هذا اللسان .
إميليا : لا أقطعه وسيدتي هنا مقتولة في سريرها .
الجميع : معاذ الله .
إميليا : ولم يرتكب هذا الجرم إلا بناء على سعيائك .
عطيل : لا تدهشوا يا سادة هذا هو الحق .
غراتيانو: أمر غريب .
منتانو : عمل فظيع .
إميليا : مكيدة مكيدة مكيدة . شَعَرْتُ بها من قبل وما صدقت
يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غماً .
ياجو : أأنت مجنونة عودي إلى البيت .
إميليا : يا سادتي ائذنوني بالكلام ، يجب أن أطيعه أما الآن فلا ولعلي
لن أعود أبداً يا ياجو .
عطيل : (يسقط على السرير) آه آه آه .
إميليا : نعم تقلب واجنار لأنك قتلت أظهر وأرق بريئة رفعت عينها
إلى السماء .
عطيل : (ناهضاً) بل كانت زانية . لم أعرفك قبلاً أيها العم . هنا كريمة
أخيك مضطجعة وهاتان هما اليدان اللتان أخذتا أنفاسها وأن
هذا العمل أعلم فظيع شديد القسوة .
غراتيانو: يا لها من مسكينة . أحمد الله أن أباه سبقها من فرط الحزن
الذي مزق نسيج حياته ، ولو كان الآن حياً لدفعه هذا المصاب
إلى عمل هائل من أعمال اليأس يطرده ملك الرحمة من جانبه

ويستنزل عليه لعنة ربه .

عطيل : هذا محزن في الغاية ولكن ياجو يعلم أنها ضاجعت كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته إليها في أوائل الحب بيننا دليلاً على شغفي بها وأخلاصي لها ، ثم إنني رأيت هديتي في يده وهي منديل كانت أبي قد أهداه إلى والدتي .

إميليا : يا إله السماء !

ياجو : إخرسي .

إميليا : لا بد من إظهار الحقيقة ، أأسكت أيها السادة ؟ لا لا ، سأتكلم بطلاقة ريح الشمال . السماء والناس والزبانية كلهم كلهم يصبحون بالعار علي إذا لم أتكلم .

ياجو : تعقلي وارجعي إلى البيت .

إميليا : كلا . (يهجم ياجو عليها ليضربها بخنجره)

غراتيانو : عيب رفع السلاح على امرأة .

إميليا : يا أيها المغربي البليد ، المنديل الذي تذكره وجدتته أنا بالمصادفة وأعطيته لزوجي لأنه كان كثيراً مما يلح علي بسرقة وكنت أتعجب من شدة اهتمامه بتأنيده .

ياجو : يا للفومس الجانية !

إميليا : أعطته لكاسيو - كلا - واحسبوا ، أنا التي وجدتته ضائعاً وأعطيته لزوجي .

ياجو : تكذابين يا قدرتي (يطعننها ويهرب)

إميليا : بالله العظيم لا أكذب يا سادتي (إلى عطيل) ويحك من قاتل أبله
ما كان لأحق مثلك أن يعايش حوراء كهذه .

عطيل : أليس في السماء حجارة غير التي تستخدم للصواعق ، يا للمجرم
الذي يفوق دهاؤه كل تصور .

غراتيانو : هذه المرأة تميد . سقطت قتلها ولا شك .

إميليا : نعم ، انقلوني إلى جوار سيدتي .

غراتيانو : لقد هرب .

منتانو : هو مجرم بلا مراء . خذوا هذا السلاح الذي نزعته من المغربي
واذهبوا لحراسة الباب الخارجي ولا تدعوه يجتاره أو تقتلوه ،
أما أنا فسألحق بذلك المجرم . إنه لعبد هالك النفس . (يخرج)

إميليا : علام كانت تدل أنشودتك يا سيدة . أصفي . أسامعة . سأموت
متغنية ، الصفصافة الصفصافة الصفصافة ، أيها المغربي كانت
طاهرة . كانت تحبك أيها القاسي . ليت نفسي تنجو بمثل ما
أقول الحق وأصرّح عما في ضميري ، أموت أموت .

عطيل : عندي سيف آخر في هذه الغرفة . سيف إسباني ماضٍ بجوهر
ها هوذا - يا عمّ يجب أن أخرج .

غراتيانو : إذا حاولت الخروج جازفت في عمرك ، لست مسلحاً وقد تقع
على ما تكره .

عطيل : إذن أرجع وتمال كلمتي وإلا هجمت عليك مع كوني أعزل .
(يدخل غراتيانو)

غراتيانو : ما تروم ؟

عطيل : أنظر ، معي حسام مما لم يتقلد مثله جندي ولقد شهدت زمناً كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف الوفي اقتتح لي طريقاً بين عقبات تربو عشرين مرة على ما تتصور . ولكن يا للفخر الباطل ! من الذي يخالف المقدور عليه . الآن أنا غير ما كنت فلا تخفّ ولو رأيتني مسلحاً . هذا محط رحالي ومرتبّ شراعي وغاية سفري - أتراجع من الرعب - رعبك لا طائل تحته . وجه خيزرانة إلى صدر عطيل وهو الذي يتراجع . إلى أين يستطيع عطيل أن يذهب الآن - أريني كيف وجهك في هذه الساعة ؟ يا المرأة التي ولدت تحت طالع منحوس . إنك لصفراء بلون قيصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرويتك على هذه الصفة تكفي لإسقاط روعي من السماء فيلتقطها الزبانية ^(١) - هامة يا بني ، قريرة كطهارة نفسك . ويل للشحاذ اللعين . أهسا الشياطين اطرودوني ضرباً بالسياط من أمام هذا النور السماوي واخذفوا بي أتقلب وأتدهور بين العواصف بلا استقرار ، أغلوني في النفط ، دحرجوني إلى أعماق بعيدة من النار السائلة . أي ديدمونه لقد متّ متّ آه آه ...

(يدخل لودفيكو وياجو وكاسيو)

لودفيكو : أين ذلك الشقي المختبل ؟
عطيل : الذي كان عطيلاً ؟ هاأنذا ...
لودفيكو : أين ذلك الثعبان ؟ هاتوا ذلك الجرم ...

(١) الزبانية : الشياطين .

- عطيل : أتفرّس في رجيله ! هذه أعجوبة من خرافات الأولين . إذا كنت شيطاناً فلن أستطيع قتلك .
- لودفيكو : انزعوا منه سيفه .
- ياجو : جرحت يا سيدي ولكن لم أمت .
- عطيل : أريد أن أعيش لأن الموت سعادة .
- لودفيكو : أي عطيل الذي كنت عنوان الفضائل واستلمت لمكايد هذا الشحاذ الهالك ، بأي اسم ستسمّى ؟
- عطيل : ليسموني كما يشاؤون إن أنا إلا قاتل شريف لأنني لم أفعل فعلي عن حقد بل دفاعاً عن الشرف .
- لودفيكو : هذا الحقير اللئيم اعترف يجرّء من جريمته . أكنت متواطئاً معه على قتل كاسيو ؟
- عطيل : نعم .
- كاسيو : يا قائد العزيم لم أفعل قط ما يسوءك .
- عطيل : أنت صادق وألتمس منك الصّح . أتريد أن تتفضل وتسال هذا النصف الشيطان لماذا سحرَ عقلي وجسمي كما فعل ؟
- ياجو : لا تسألوني شيئاً فقد علمتم ما علمتموه وبعد هذه اللحظة لن أنبس بكلمة .
- لودفيكو : حق ولا الصلاة !
- غراتيانو : إن التعذيب سيفُضُّ فاك .
- عطيل : هذا هو العمل الصالح المفيد .
- لودفيكو : أيها السيد يجب أن تعلم من بقية المسألة ما لم تزل تجهله فيما أظن .

هذا كتاب وُجِدَ في جيب ردريجو الذي قتل وهذا آخر ، ومن أحدهما يؤخذ أن مقتل كاسيو كان منوطاً بردريجو .

عطيل : يا للمجرم !!
كاسيو : يا للعمل الشنيع الذي لا يعملهُ إلا وثني .
لودفيكو : وهذا كتاب آخر وُجِدَ في جيبه كان في عزم ردريجو على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثيم الهالك غير أن ياجو لقيه قبل إرساله وتمكن من تهدة خاطره .

عطيل : ويحك أيها الشقي المؤذي ، كيف وُجِدَ بيدك ذلك المندبل الذي كان لامرأتي يا كاسيو ١٢

كاسيو : وجدته في غرفتي واعترف هو نفسه منذ هنية أنه كان ألفاء بيده فيها لقصدٍ ما .

عطيل : يا مجنون يا مجنون يا مجنون .
كاسيو : ويظهر علاوةً على ما ظهر من كتاب ردريجو أن ياجو هو الذي كان باعثةً على التحرش بي في ليلة الحرس . ومن هذه الحادثة انجتمَ عزلي . ثم ظهر أيضاً منذ قليل بإقرار من نفس ردريجو الذي تكلم بعد أن وُظِنَ ميتاً أن ياجو هو الذي دفعه إلى قتلي وياجو الذي ضربه بخنجره ليُجهز عليه .

لودفيكو : يجب عليك ترك هذه الغرفة واللحاق بنا فقد استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرس وقلتها كاسيو مكانك . أما هذا المجرم المتفان فها نجد من ضروب التعذيب لإيلاهما أبعد ما يكون أجلاً فهو ما سنعذبه به وأما أنت فتبقى سجيناً إلى أن

يعلم أمرك في البندقية . هلموا اقتادوه .
 عطيل : رويدكم أقل كلمة أو كلمتين . لقد خدمت البسلام بعد الحدم
 ويعرفونها فلا أطيل عن هذا القدر في هذا المعنى . ولكن أرغب
 اليكم حينما تقصون قصتي في رسائلكم أن تذكروني بحقيقي لا بمزيد
 ولا بنقصان وألا تدخلوا فيها شيئاً من المكر السيء فإذا فعلتم
 ذلك وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ولكنه كان خالص
 السريرة متجاوز الحد في حبه ، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده
 فلما تمكنت منه تمادى فيها إلى النهاية ، رجل غلب الأسى عينيه
 على أنها لم يكن من شيمتها البكاء فذرفت من الدموع أغزر ما
 تنضج أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافي . هكذا أرجو
 أن تصفوني وأضيفوا إلى ما تقدم أنني عندما كنت في حلب
 وأهان أحد الأعداء رجلاً من البندقية وثبت به وجعلت يدي
 في عنقه وضربته ... هكذا . (يضرب نفسه)

لودفيكو : يا للختام الرائع .
 غراتيانو : قد تلاشى كل ما كنا في تدبيره .
 عطيل : (زاحفاً نحو سرير ديدمونه) لقد قبلتك قبل ممالك والآن
 يبقى لي إلا أن أموت في قبلة .
 كاسيو : كنت أخشى هذه النهاية لكنني لم أظن أن معه سيفاً ... قصر
 وكان قلبه كسيراً ...

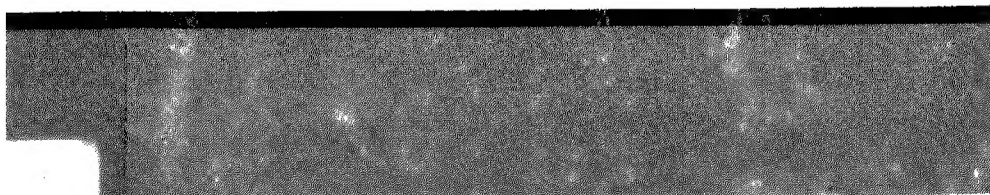
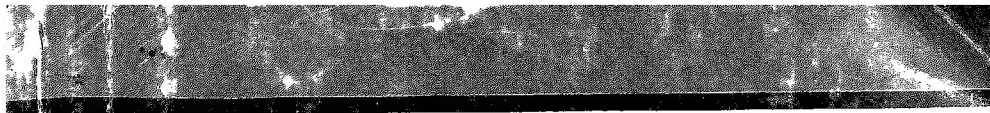
لودفيكو : أين كلب إسبرطة . يا أقسى من الألم والجوع والبحر انظر هذ
 الجثث الطاهرة المتراكمة على هذا السرير . هذا عملك . منظر

ينفثُ نافع السم في الأبصار فآلقوا عليه غطاءً — أي غراتيانو
أحرس البيت وتسلم تركة المغربي فهي اليك — وأنت أيها السيد
الوالي تحكم في عقاب هذا المجرم الجهنمي بما تشاء . اضرب لذلك
أجلاً وعين مكاناً واختر آلات التعذيب ثم عذبه بمنتهى الشدة
وبلا رحمة ساءجر من فوري عائداً إلى البندقية حاملاً إلى القوم
بقلب حزين خبير هذه الحادثة الفاجعة .

(تَمَّتِ الرواية)



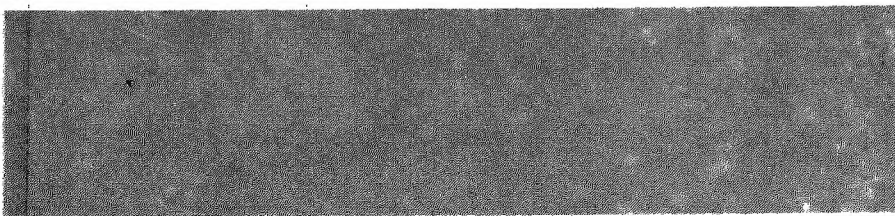
General Organization of the League of Nations (GOL)
1919-1920



33

ش

ع



توزيع دارالبحر

